السير الأزكى إلى جزيرة سريلانكا

وإطلالة على أحوال المسلمين فيها

إعداد
د.عبدالله بن عبدالعزيز اليحيى

المعلومات والقضايا المعاصرة عن المسلمين في العالم

ⓒ عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد اليحياء ، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اليحياء ، عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد
السير الأزكى إلى جزيرة سريلانكا وإطلالة على أحوال المسلمين فيها. / عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد اليحياء .- الرياض ، ١٤٣٩هـ

٩٩ ص ؛ ..سم

ردمك: ٧-٦٤٧٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- سريلانكا - وصف و رحلات ٢- المسلمون في سريلانكا
أ.العنوان

ديوي ٩١٥,٤٩٣٠٤ ١٤٣٩/٤٧٠٢

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٤٧٠٢
ردمك: ٧-٦٤٧٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كُتيب «السَير الأزكى إلى جزيرة سيريلانكا» يصف رحلة سياحية ليست في ذرى القمم، ولا هي في حُفر السفوح، وما دفعني إلى نشرها إلا خلو ساحات كتب الرحلات العربية - حسب علمي - من كتاب يتحدث عن رحلة عائلية حقيقية، فآمل أن تكون الأولى إن لم تكن الأفضل، كما يعضد لها أن الكتب العربية عن الجزيرة قليلة جداً، بل بحثت في المكتبات السعودية فلم أقع على كتاب واحد عنها، ولكني رأيت أثر كتاب عنوانه (رحلة إلى سيلان) لمعالي الشيخ / محمد بن ناصر العبودي، ولم أجده لديه، ولا لدى ناشر كتبه (المكتبة الثلوثية) فذهبت إلى (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) حيث قامت بإصداره عام ١٩٨٣م، فرأيت بمستودعها بضع نسخ مهجورة منه، أتحفوني بنسختين، والكتاب يحتضن (٢٦٨) صفحة من الحجم المتوسط، ذكر فيه - حفظه الله - تغطيته لزيارته إليها في ستة أيام، ما بين (١٣٩٨/١٢/٣٠هـ ١٩٧٨/١١/٣٠م) و (١٣٩٩/١/٦هـ ١٩٧٨/١٢/٦م)، وأضاف إليه الكثير من المعلومات المتنوعة، وتأسفت وأنا أقلبه وكأنه «بيضة الديك»! بل ولم يُعدْ نشره مرة أخرى رغم نفاد الطبعة الأولى، إضافة إلى وجود بضع ملايين من العرب زاروا سريلانكا منذ زيارة معاليه إلى يومنا هذا، لم يكتب واحد منهم كتابا يؤنس وحدة كتاب عميد الرحالين العالميين، ويذكِّر به، ويضيف إليه، ويقوي الروابط بين الأمتين، وليس من الأعذار أن الفضائيات حجمت مساحات الانبهار والغربة والاختلاف، وحدّت من مبالغة الرحالين ومجونهم، ودورها الملموس في تكثيف الرحلات وانكماش الكتب عنها.

لذا أقدم السطور التالية المختصرة للقارئ العربي، وأعلق في مدخلها موضوع (من نبض الرحلات)، وهي مشاعر وأفكار واقتباسات حول الأسفار من التراث العربي، لعلها تعوض المتابع الذي لم تنسجم أذنه مع الرحلة، وأزيده - لعله يأنس - في آخر الكتاب بـ (منولوج عن السياحة)؛ تكمن أهميته بموضوعه، ومكانه، وقائله، ووقته، ولهجته، وصوره المعبرة، فهو وثيقة - في نظري - من عدة زوايا، ولا شك أن الكتاب في زمن الحاسوب بحاجة إلى التسويق والتخفيض والاعتذار والدعاية، والصبر قبل ذلك وأثناءه وبعده، ويلي ذلك كله الدعوة الصادقة في أن يعين ويحفظ حملة الأقلام وأحباب الكتب.

أخيراً..

جعلنا الله وإياكم - إخواني أخواتي القراء - من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وسخرنا في خدمة دينه وعباده، وأعاننا في ذلك.

أخوكم

عبد الله بن عبد العزيز اليحيى

@Dr_AbuMusa

الفصل الأول
السـفر والسـفريات

من نبض الرحلات

مصطلح (رَحَلَ) يضرب بجذوره في أعماق الإنسان، وينطلق مع بدايته، ومنذ العصور الحجرية إلى قمم المدنيَّة، ومن رحلته الأولى في رحِم أمه وما يمر به من (علقة، مضغة، عظم، لحم، إنسان) إلى رحلته الكبرى في رحِم الأرض، وما فيها من مفاصل ومنعطفات (طفل، فتى، رجل، كهل)، ثم ما يتسلل إلى أحد مفاصله من رحلات لازمة بمحركات داخلية محبوبة، أو مكروهة، أو بضغوط خارجية تتنافر مع الذات أو تنسجم معها، مع ما يكتنف الرحلات من ألفة وفراق، وكسل وطموح، ورزق وفقر، وأمل ويأس، وسفوح وقمم، ومغامرة وإحجام، وهمة وهمّ، ووطن وغربة، ومحن وفتن، وعلم وغِنى، والإنسان - فيما سبق - مخيّر فيما يعلم مسيّر فيما لا يعلم، وعلم الله جَلَّ جَلَالُهُ سابق لا سائق.

إن مجاهيل الأمكنة تشبه خيالات الشعراء، وتمددات الصحراء تعانق فضاءات القصائد، وجبال الحجاز وألوانها وأنواعها تحتضن أشعار الفرزدق، وتماس مياه البحار مع رمال الشواطئ تمازج نفثات جرير، والحداء الذي يهز النفوس يغريك بمثله، وكأنه جماليات الأمكنة حينما تدعوك إلى أخواتها، ولوحات الشعر تتكون - دائما - من لحم ودم الرحلة أو الرحلات وإن لم نشعر، فالقصيدة رحلة والرحلة قصيدة.

الرحلات انعتاق وتحرر، أخلاق وآمال، شجاعة واكتشاف، فالأسير لا يرحل، والنخيل لا يسافر، وضّيق الأفق لا يسوح، والخائف لا يتحرك، والرحلات لا يطيقها إلا الأفذاذ، قال ﷺ: (السفر قطعة من العذاب) وهي من وسائل المعرفة الحقة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (..أسافرت معه ؟ ...لأن السفر ميزان القوم)كما يُروى عن صدقة بن محمد رحمه الله، وبعض الأسفار تقوي الإيمان حيث تزيد المسافر علمًا بقدرة الله، وتكشف حكمته، وتحرض على شكره، وبعضها فيه جمال خفي، قال المأمون (لا شيء ألذ من السفر لأنك تجد في كل يوم محلة لم تحلها، وتعاشر قومًا لم تعاشرهم) ولها أثر إيجابي على الأجسام قال عنترة (السفر يشد الأبدان، وينشط الكسلان، ويشهّي الطعام)، وتثري العقول، قال حكيم (المسافر يجمع العجائب، ويكسب التجارب، ويجلب المكاسب).

وللأسفار- والأسفار السياحية خاصة - في هذا الزمن الكثير من الواقع والمؤلفات والكتب والتقارير والدراسات، وبأقل التكاليف تستطيع أن تعرف الكثير عن قضايا وخصائص

وأمراض ومستوى اقتصاد وأمن الجهة التي تريد السفر إليها، والحديث عنها يطول، وأقف لحظات فقط أمام لوحة سأطلق عليها (أطفالنا والسفر)، أستشف معالمها من هذه الرحلة، ومشاهداتي وملاحظاتي.

السفر للأطفال متعة وعلم، وهم يكتنزون كل صورة وحركة، وذاكرتهم طرية واسعة، لذا من الأفضل إشراكهم في ترتيب الرحلة، ووضع البرنامج، وإعطاؤهم خريطة للجهة، وتكليفهم ببعض المهام، وشرح ما يمكن شرحه لهم، وتقديم المعلومات عن الدولة والطائرة والشلال، والذهاب بهم إلى الجهات المناسبة لسنهم، ومن المستحسن التوقف في الأماكن المتميزة مابين مدينة وأخرى، والحوار معهم في السفر له أثره وفوائده، وأخيرا النظر إليهم على أنهم شركاء وليسوا تابعين، وقبل ذلك وبعده من الأهمية أن يكتبوا أهداف الرحلة، وأن يعلم جميع أفراد الرحلة بها قبل نقطة البداية.

الإسلام والسفر

والقرآن الكريم دعا إلى الترحل والتدبر، وحث على السير في أرض الله الواسعة، والرسول ﷺ أمر أصحابه ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، ورحل إلى السماوات العلى، وقام برحلة إلى الطائف، وهاجر إلى المدينة مكرهًا، وقال كلمته المدوية المؤلمة مخاطبًا مكة المكرمة، ومعبرًا عن محبته لها (والله إنك لأحب أرض الله إليّ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت)، وفي هذه الحالة وما يشابهها يصدق قول المتنبي:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لاتفارقهم فالراحلون هم

والتسلية والترويح عن النفس - ومنه سفر السياحة - له ضوابطه في الإسلام، وأخذ نصيبه من الأمر والنهي، والغالب منه يستظل في دائرة الإباحة، ومن المحظورات فيه ألا يكون على حساب حقوق الله ﷻ كالصلاة، أو حقوق الناس كالعمل، أو حقوق الأمة كخذلانها وإفسادها وتمييع هويتها، أو حقوق الوطن كالإساءة لأمنه وتنميته، والاعتداء على أمواله.

وكمال الإسلام ووسطيته وبناؤه التوازني، ومراعاته لحاجات الروح والجسد، والعقل والقلب، والجد والهزل قدمت للمسلمين الاستجمام المعتدل، وأنطقت أبا الدرداء ليقول: (إني لأستجم نفسي بالشيء من اللهو غير المحرم، فيكون أقوى لها على الحق)، ويعضد له ابن عباس قائلا: (أغيثوا القلوب، فإن القلب إذا أُكره عمي).

والإسلام جعل الرحلات في ثلاث دوائر:

١- رحلات طاعة (واجبة ومسنونة) كأداء فريضة الحج والعمرة، وصلة الرحم، وزيارة المريض، والقيام بالجهاد، والبحث عن العلاج، والعلم، والدعوة، والرزق، والتفاعل مع المسلمين وقضاياهم، والسعي في خدمتهم.

٢- رحلات معصية (محرمة ومكروهة) إذا كان فيها ارتكاب محرم أو تقرب إليه، أو ممارسة ظلم، أو بقاء حوله، أو إساءة للإسلام والمسلمين، أو هروب من حق وبحث عن باطل.

٣- رحلات جائزة (مباحة) إذا كانت للتجارة المحمودة، والسياحة المنضبطة، والنزهة البريئة، والصيد البعيد عن الإسراف.

وأتذكر أن لفضيلة الشيخ / محمد المنجد كتاب عنوانه (السفر آداب وأحكام) يشرح فيه ما سبق، ويؤصله، وفي المضمار نفسه للأستاذ / سليمان الصقير كتاب آخر، عنوانه (٨٠٠ خطوة لرحلة سياحية ممتعة)، ويشاركهما من زاوية أخرى كتاب (الرحلات في الإسلام ... أنواعها وآدابها) للدكتور/ عبد الحكيم الصعيدي، قدم رؤية عامة للأسفار، تحدث فيه عن الرحلة في الإسلام، وأنواع الرحلات، وآداب الرحلة، واستعرض أهم الرحلات المشهورة، ومن أجمل التنبيهات والوصايا والتعليمات ما نسب إلى (لقمان الحكيم) وهو يوجّه ابنه، وينصحه حينما يسافر، حيث جمع في سطور يسيرة الكثير من الآداب والأحكام، فقال (يا بني، إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبسم في وجههم، وكن كريما على زادك بينهم، فإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوا بك فأعنهم. استعمل طول الصمت وكثرة الصلاة، وسخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم، وأجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تتثبت وتنظر، ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد، وتنام وتأكل، وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته، فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله رأيه، وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم، فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، واسمع لمن هو أكبر منك سنا، وإذا أمروك بأمر وسألوك شيئا فقل (نعم) ولا تقل (لا)؛ فإن (لا) عي، وإذا تحيرتم في الطريق فانزلوا، وإذا شككتم في القصد فقفوا وتآمروا، وإذا رأيتم شخصا واحدا فلا تسألوه عن طريقكم، ولا تسترشدوه فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب؛ لعله يكون عين لصوص أو يكون هو الشيطان الذي حيركم، واحذروا الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى، لأن العاقل إذا أبصر بعينه شيئا عرف الحق منه، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

يا بني، إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء، صلها واسترح منها فإنها دين، وصل في جماعة ولو على رأس زج، وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها عشبا، وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس، وإذا ارتحلت فصل ركعتين ثم ودع الأرض التي حللت بها، وسلم على أهلها فإن لكل بقعة أهلا من الملائكة، وإن استطعت أن لا تأكل طعاما حتى تتصدق منه فافعل، وعليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكبا، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملا عملا، وعليك بالدعاء ما دمت خاليا، وإياك والسير في أول الليل إلى آخره، وأياك ورفع الصوت في مسيرك) ا.هـ.

وتحدث علماء الإسلام عن السفر، وما يصدر منه، وما يأتي إليه، وما يمسه، ويقع في أطرافه، واستعرضوا الخلوة، والعزلة، والانفراد والخلطة، وحكم النظر للتماثيل والأصنام، والنسوان والمردان، والمنافقين الذين تعجب الناظر أجسامهم، أو مشاهدة ما يقوي الإيمان، ويؤصل التقوى، والتحديق في الصور الدالة على المصور جَلَّ جَلَالُهُ، أو من جهة استحسان خلقه جَلَّ جَلَالُهُ، كرؤية البهائم والأشجار والأزهار، أما النظر إليها من باب التعلق بالدنيا والرئاسة والمال فهو مذموم، والتأمل فيما يريح النفس ولا يضر الدين فهو من المباح الذي يستعان به على الحق، ويرون أن المسلم لا يحضر الأماكن التي فيها المنكرات ولا يتمكن من إنكارها، أما حضوره للفرجة فقط، وإحضار زوجه لمشاهدة ذلك فهو مما يقدح في عدالته، ومروءته إن أصر عليه، ومن يسافر نتيجة قلق، وتزجية للوقت لغير المسنون والواجب فمقامه في بيته بذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ خير له في كل حال، ويرون أن المسافر لا يسافر إن كان له عيال وسفره يضر بهم، ومن قصد التفرج على من يصلي عند القبور ويتمسح بها، ويقبلها، ويلتقي بأهل المعاصي من غير حاجة ولا إنكار فهو عاصٍ في هذا السفر.

والرائع أن الإسلام قدر مشقات السفر ودرجاته، فأباح قصر الصلاة وجمعها من أجله، وتأخير الصيام، والمسح على الخفين، والصدقة على عابر السبيل المحتاج وإن كان غنيا، وربط بالسفر التوبة والاستخارة والاستشارة واستجابة الدعاء، وأداء الحقوق، وكتابة الوصية، واستئذان الوالدين، والرفقة الصالحة، وتجنب بلاد الكفر إلا لصاحب الحاجة، والقوي، والمضطر، والرسول، وطالب العلم، والداعية. وألزم المسافر بهجر أماكن الفساد، والبعد عن الإسراف، وأن لا يستدين من أجل السفر السياحي، وحبب إليه السفر في أول النهار، والأفضل يوم الخميس، وأن يكون في صحبة ثلاثة فأكثر، وأن يؤمروا أحدهم عليهم، ولهم فيه من الأجر ما كانوا يعملونه في حالة الصحة والإقامة.

فالسفر أخذ أبعادا متعددة في الإسلام، وتحدث القرآن الكريم بإسهاب عن العديد منه، ربما يكون نزول آدم وحواء عليهما السلام بدايته، ويليه رحلة نوح عليه السلام في السفينة وقصة إعدادها، ثم تأتي رحلات أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وصوته المدوي إلى يومنا هذا (إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم) وقوله (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) وبعده يأتي خروج موسى عليه السلام (فخرج منها خائفا يترقب ...)، ورحلته مع الخضر عليهما السلام، وخروجه من مصر، ورحلة ذي القرنين، وتقدم سورة يوسف عليه السلام رحلته الطويلة من البئر إلى الحكم، ويتخلل ذلك قضايا متنوعة في السفر تحتاج إلى وقفات أجاد التنبيه عليها فضيلة الشيخ / ناصر العمر، وأجمل القرآن رحلة (الشتاء والصيف)، وذكر جل جلاله طغيان الإنسان وغروره وظلمه لنفسه (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ...) ومع هذا أمره عليه السلام في آيات كثيرة بالسير والتدبر والتفكر والنظر.

وفي قمة الأسفار المؤثرة في الكون كله هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، قال أبو فضل المرادي (إن النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة أعز الله امرته وأبر زمرته وأكرم دينه. فقد روى أئمة الحديث والسير أن الرسول ﷺ خرج من مكة شرّفها الله جل جلاله وهي أحب البقاع إليه، وهاجر إلى طيبة فكان، من أمره ما ظهر للعيان، وبهر الأعيان، وقصّر دونه البيان، ثم عاد إليها ﷺ، وفتحها الله عليه، وهو في عشرة آلاف من الإسلام، بعدما خرج منها هو وأبو بكر رضي الله عنه منفردَين بسلام)

ومما سبق جاءت رحلات الجهاد، وطلب العلم، وزيارة المساجد الثلاث، والالتقاء بالإخوان، وطلب التجارة، والتمثيل الدبلوماسي، والدعوة، والنجاة من الظالمين، والهروب من العذاب، وحماية الدين والمال والنفس والعرض والعقل، قال جل جلاله (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ....) .

والرحلات الإسلامية تدبر وتأمل وعبادة، وتقرب إلى الله جل جلاله، وغذاء إيماني؛ تلطف الابتهال، وترقق الدعاء، وتجذر الاعتبار، وتغرس الحِكم، وتعرّف بالنعم، وتنمي المعرفة، وتؤكد التعايش والحوار والتسامح، وتعبر عن الاعتدال، وتغذي العقل والقلب، وتشحن المشاعر، وترمم التصورات، وتفتح أقفال النفوس، قال جل جلاله: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) وقال جل جلاله: (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيراً وسعة) وفي قمة رحلات البشرية هجرة الرسول ﷺ للمدينة المنورة، وآثارها الرائعة ما زالت يانعة حتى يومنا هذا، وللمسلمين من بعده (أسفار نبيلة) حركها الإيمان والعلم .

التراث العربي والسفر

إن أهداف الرحلات وأنواعها ودوافعها وآدابها ورجالها لتملأ آلاف الصفحات مواقف وعبرا، وطرائف وأحزانا وأفراحا، ففي العصر الجاهلي رحل الغالب من الناس في أرض الله الواسعة؛ يبحثون عن العيش، وجاء الشعراء يعبرون عن تطلعاتهم للسفر، ويكشفون لواعج أنفسهم وخواطر خلجاتهم، ويصفون غربتهم، وجاءت الأسئلة منهم مؤلمة وحائرة:

وسائلة أين الرحيل وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه
مذاهبه أن الفجاج عريضة ... إذا ضن عنه بالنـــوال أقاربه

والسفر في نظرهم يعالج الضيم والأذى، قال الشنفري:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فإني إلى قوم سواكم لأميل

إلى أن يقول:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلي متحول

وجاء المعنى بصياغة أخرى، إنه دعوة وإصرار على العمل، وطلب المعاش، من قبل النابغة:

إذا المرء لم يطلب معاشًا لنفسه ... شكـــا الفقر أو لام الصديق بأكثرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ويقول - أيضًا - عروة بن الورد معتذراً ومعللاً ومُخفياً ألمه:

دعيني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له نسب وخير

ويوافقه البحتري قائلًا:

وإذا الزمان كساك حلة معدم ... فالبس له حلل النوى وتغرب

والمسافر - بعد ذلك - بين مجموعة من الغنائم النجاح، أو الخبرة، قال أبو الثناء الحراني:

تنقل المرء في الآفاق يكسبه ... محاسنا لم تكن فيه ببلدته

أو العذر، وقلة قليلة رجعت وهي تقول (رضيت من الغنيمة بالإياب) أو تردد هذا البيت من الشعر:

ثوى في بلاد الله خمسين حجة يروم الغنى ثم انثنى وهو مفلس

فأصبحت ملامح هؤلاء حزينة، وقلوبهم مجروحة؛ لذا صوتهم مؤلم، وصداه واسع، والرهبة من حالتهم مهيمنة، وقد سودوا وجه السفر بفشلهم أو تشاؤمهم، وإن كانوا قلة لا يقاس عليهم.

وعدد من الشعراء وسعوا زوايا السفر، وأمدهم المجاز بالكثير من المعاني، فأبو تمام تحدث عن رحلة «الطرف».

سافر بطرفك في أقصى مكارمنا إن لم يكن لك في تأسيسها سفر

وعلي بن الجهم يؤكدها:

صحون تسافر فيها العيون وتحسر عن بُعد أقطارها

وابن خفاجة يصف رحيل اليدين في تضاريس محبوبته:

تسافر كلتا راحتي بجسمها فطورًا إلى خصر وطورًا إلى نهد

والشاعر ابن أبي الحديد يؤلمه خسارة العقول في أسفارها:

سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر

وأبو العلاء المعري مدّ بصيرته الحية متجاوزا بصره الميت قائلاً:

إلى العالم العلوي تزمع رحلة نفوس، وتبقى في التراب جسوم

والمتأمل بما سبق وبما يلحق، يدرك أن الشعر قمة البيان، وأول التراث، ولسان العرب، ومقر الحكمة والجمال، والكاشف للغوامض والأسرار. قال المعري:

الحسن يظهر في اثنين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

والشعر - أيضا - صحافة العرب الأولى، وإعلامهم، فيه أخبارهم وأحزانهم وابتساماتهم، والمتصفح لنفثاتهم الشعرية يلمس جميع قضاياهم، ويدرك تفاصيل تقاطعاتهم ورؤاهم. وشعرهم عن الرحيل يقدم خريطة حية لمنهجهم الفكري، وأسلوب تعاملهم، وتقييمهم للمكان والزمان والموقف، وحجم المعاناة، ودرجات التفاؤل واليأس، والجميل في الشعر الصادق الخاص أنه يعبر عن الشعور، فلا يباغته ما لا يريد الشاعر، ولا تتسرب إليه مجاملة أو نفاق، والشعر العربي لامس كل زوايا الرحيل، وعبر عن جميع دروبه ومشاربه، وانطلق من المشاهد

العامة الكبرى إلى التفاصيل الصغيرة

قال إبراهيم الرجاحي مؤمنا إن: ... (لكل امرئ رحلة وزوال) واقترب منه بركة محمد في شطره القائل: (كتبت رحلة الممات علينا) ... وعانقه ابن المقرب حينما قال: ... (فهي الليالي رحلة ومقام) وقدم ابن عثيمين صورة مختزلة لرحلة الإنسان الكبرى:

هو المرء في الدنيا غريب مسافر ولا بد من بعد الرحيل نزول

أضاف إليها إبراهيم الطبطبائي خطين مختلفين:

كم رحلة تجذب الذنوب وأخرى لبني صالح تحط الذنوبا

وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة النهي عن الترحل أو التحذير منه، قال ابن حمديس:

وإياك يوما أن تجرب غربة فلن يستجيز العقل تجربة السم

وأبو فراس الحمداني شبعت نفسه من كثرة الأسفار، ووجد أنه من خسارة إلى أخرى:

أفي كل يوم رحلة بعد رحلة تجرع نفسي حسرة ونزوعها

أما أحمد الكاشف فلا يرى إلا عيوب الرحلة فقط:

كم رحلة لم أستفد منها سوى ذل الغريب وحيرة المجهول

وصالح بن عبد القدوس لا يرى إلا معاناة الغريب:

لا ألفينك ثاويا في غربة إن الغريب بكل سهم يرشق

يقابل مرحلة النهي السابقة ومبرراته دعوات قوية في الحث على السفر، وتعداد محاسنه، يقول الشافعي:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

وفي القصيدة تبريرات عقلية لطيفة، ودلالات كثيرة محسوسة، تدفع أصحاب الألباب إلى السفر والصبر. ويكرر الشاعر الدعوة نفسها، ويعزم، ويحذر:

ارحل بنفسك عن أرض تضام بها ولا تكن من فراق الأهل في حرق

وابنُ المقرب ينضم إلى صفوف الداعين إليه قائلا:

كم رحلة وهبت عِزًا تدين له شوس الرجال وكم قد أورثت نعما

ويجعل ابن الطيب الفاسي من الترحل عزًا وظفرًا:

سافر إلى نيل المعزْ زَةِ إن في السفر الظفر

ويذهب حافظ إبراهيم نحو الاعتدال، وأن العالي من الثمار يحتاج للمخاطرة:

أي شباب النيل لا تقعد بكم عن خطير المجد أخطار السفر

وتباين وجهات النظر بين الشعراء، حول النهي والأمر بالرحلات، يعود بالدرجة الأولى إلى ما تغلغل في نفوسهم من أمل ويأس، وخوف وشجاعة، ورضا وتطلع، وطموح وإحباط، وتشاؤم وتفاؤل، ثم أثر تجاربهم وتجارب من حولهم عليهم، ويبقى بعد ذلك نتف من انعكاسات وعيهم، ومقدار عمرهم، وحجم ما لديهم من مال وأبناء وصحة، ومن كل ما سبق يتشكل العزم، ويأتي الجذب أو الدفع.

ومجموعة من الشعراء أشغلهم ألم الفراق، ولحظات الوداع عن السفر نفسه، وكأنه بيت القصيد ومحور المعاناة، وعنق الزجاجة، يقول أبو نواس: ... (إنما يفتضح العاشق في وقت الرحيل).

ويرى ابن المقرب أن الوداع لازم والدمع تابع:

ولا بد لي من وقفة قبل رحلة أذيل بها دمعي فينهل وابله

والشاعر الكويتي فهد العسكر ينادي بحزن:

وتعالي ودعي قبل السفر بلبلا قص جناحيه القدر

أما لسان الدين الخطيب فهو يصف معركة الهوى والرحيل:

قفوا نشتكي ما نلاقي من الهوى وننحى على يوم الرحيل ونستعدي

وعمر بن أبي ربيعة أشغله وجيف القلب:

راع الفؤاد تفرق الأحباب يوم الرحيل فهاج لي إطراب

وبعد نهي الشعراء وأمرهم بالسفر، ووصف ساعات الفراق يتشتتون في معالجة مشاكل الترحال، وتلمس الحسنات والسيئات، وتحديد الحال، فابنُ المعتزيهدد بالرحيل:

سأرحل عنكم لا جوادا بعبرة وأصبح عنكم ساليا فارغ الذكر

ومثله البحتري حينما يقول:

سأرحل عنك معتصما بيأس وأقنع بالذي لي فيه قوت

والزهاوي يهدد مدينته (بغداد):

سأرحل عن بغداد رحلة عائف فقد طال في دار الهوان قعودي

ويكرر المعنى مرة أخرى قائلا:

سأرحل جاعلا بغداد خلفي فما عيشي بها إلا عذاب

والشريف الرضا يعاكسه، ويحول بينه وبين السفر محبته لبغداد، وتجذرها فيه:

فما بال بغداد إذا اشتقت رحلة تشبث بي غيطانها وفجاجها

ويتجه الشريف الإدريسي إلى البحث في غربته الطويلة عن نهايته:

ليت شعري أين قبري ضاع في الغربة عمري

أما الشاعر خليل مطران فهو يتأمل الغربة الداخلية:

إنما الاغتراب فيه أنه عربي بين أهله اغترب

ويختار الخبزارزي الترحال وسيلة من أجل أداء الواجب نحو الأقارب:

وقد جد عزمي على رحلة أجدد فيها صلات الرحم

ويعتقد البارودي أن غربته مؤلمة قاسية، ولكنها ثمن وفائه:

وحيد من الخلان في أرض غربة ألا كل من يبغي الوفاء وحيد

ويضع الشافعي منهجا في التعامل مع الناس الغرباء في الديار البعيدة:

وأنزلني طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله
أحامقه حتى يقال سجيـــة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

والشاعر ابن الدمينة يتعلق بالآمال، ويستعين بالله في الاجتماع والتلاقي:

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ويذهب أبو العلاء المعري للرحلة الأخيرة، رحلة الانتقال من هذه الدنيا، ويجعلها أمنية، ويغلفها بالدعاء:

رب متى أرحل عن عالمي فأنت بالناس خبير عليم

ويقول حول المعنى نفسه:

رب متى أرحل عن هذه الدْ ـدُنيا فإني قد أطلت المقام

ويناقضه أبو نواس، متجردا من المشاعر، رافضا البكاء على الأطلال، وغير مبال بمن يرحل من الأحباب، جاعلا من لذته الشخصية والقريبة محور حياته:

لا تبكين على الطلل ... وعلى الحبيب إذا رحل
من غاب عنك فلا تقل ... يا ليت شعري ما فعل

والمتأمل في شعر السفر وما يعلق به من ألم وخوف ودموع، يجد أغلبه من نفثات العشاق، وقد كشف الاصبهاني سترها في كتابه (الزاهرة)، من خلال بعض أبوابه، تحدث فيها عن معاناة المحبين من الأسفار، صاغها المؤلف بأسلوب السجع، ومنها، الباب ٢١ (من راعه الفراق ملكه الاشتياق) والباب ٢٤ (من تجلد على النوى فقد تعرض للبلاء) والباب ٢٥ (في الوداع قبل الفراق بلاغ إلى وقت التلاق) والباب ٢٦ (ما خُلق الفراق إلا لتعذيب العشاق) والباب ٢٧ (من غاب قرينه كثر حنينه) والباب ٢٨ (من لم يلحق بالحمول بكى على الطلول).

وأما الأدب المنثور فله - أيضًا - حضور قوي في أدب الرحلات، احتضنتها الآلاف من الكتب المتنوعة، ودعمتها الكثير من الحكايات والحوارات والطرائف، ولو جُمعت وصايا السفر - فقط - لكانت سِفرًا كبيرًا نادرا، ومن ذلك وصية حكيم لمسافر، قال فيها: (إنك تدخل بلدا لا يعرفك أهله، فتمسك بوصيتي تنفق بها فيه، عليك بحسن الشمائل؛ فإنها تدل على الحرية، ونقاء الأطراف؛ فإنها تشهد بالملوكية، ونظافة البزة؛ فإنها تنبئ عن النشء في النعمة، وطيب الرائحة؛ فإنها تظهر المروءة، والأدب الجميل؛ فإنه يكسب المحبة. وليكن عقلك دون دينك، وقولك دون فعلك، ولباسك دون قدرك، والزم الحياء والأنفة، فإنك إن استحييت من الفضاضة اجتنبت الخساسة، وإن أنفت عن الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة)، وتأتي وصية أخرى، تنبه كل المسافرين، وتحدد ثمار السفر، قائلة (لا تتم فائدة الانتقال من بلد إلى بلد إلا إذا انتقلت النفس من شعور إلى شعور، فإذا سافر معك الهمُّ فأنت مقيم لم تبرح) ومن هذا الباب تدخل وصية لقمان لابنه في السفر - وقد سبق ذكرها - تحدث فيها عن عشرة المسافر للمسافرين، وأخلاقه معهم، وخدماته لهم[1].

وأما علم «البدهيات والمسكتات» في السفر، فله شأن لا يقلّ عن الوصايا والشعر، وهو فن لذيذ ومُبهت، جاء في كتب الأدب أنه لقي رجلٌ رجلاً خارجاً من «مصر» إلى «المغرب» فقال: يا أخي أتتبع القطر وتدع مجرى السيول؟ فأجابه: أخرجني من «مصر» حق مُضاع، وشح مطاع، واقتار الكريم، وحركة اللئيم، وتغيّر الصديق بين السعة والضيق. والهرب إلى النزبالعز خير من طلب الوفر بذل العجز.

ويبقى الحديث طويلا عن الغربة والرحلة والسفر لدى الشعراء والأدباء، إلا أن

النتائج النهائية تصب في فجوة كبيرة ما بين الماضي والحاضر، وتُقدم المعالم التالية:

أ - في السنوات الأخيرة انتقلت البشرية - وبدون مقدمات - إلى زمن يفصله عن الماضي آلاف السنين نتيجة التقنية العالية في الاتصالات والمعلومات والنقل، حتى إن طفل اليوم لا يستطيع تصور بيوت أجداده ووسائل نقلهم وأسلوب حياتهم كما يعرفها والده.

ب - انتهى عصر السفر للمعالي والوفاء وأداء الحقوق، وكأن عواطف الناس وأحاسيسهم استولت عليها وسائل الإعلام الغربية فصدّرت لهم - دون أن يشعروا - أنانية الإنسان وعنصريته وفرديته

ج - الرحيل والغربة والسفر لم يعد لها ذلك الألم والشوق وما بينهما من دموع وحزن، وهذا ما جعل الشعر المعاصر المتأخر لا يحركه صوت محركات الطائرة، ولا رنين الهاتف، ولا لحظات الوداع في محطات السفر، ولولا مواقف فردية نادرة بين محبين قُبيل إقلاع طائرة أو تحرك قطار لما أحسسنا بالعواطف والخلجات، وانتهت مشاعر المعاناة من الرحيل، والتهديد به، وانتظار الغائب، وأصبح المسافر يسافر لوحده، ويأتي لوحده، إلا في الدول المتأخرة الفقيرة، والتي لا يزال في رصيدها كم كبير من المحبة الجياشة، والأشواق الحارة!.

محور الرحلات ودوافعها

وأحوال الرحلات في العصر الجاهلي محورها الحاجة، من أجل الأسرة والضيف، وهي - في أعماقها - تعبر عن جفاف الصحراء ومحبة الأوطان، وألم الفراق، وأهمية الكرم.

وفي عصر صدر الإسلام وما يليه، اتجهت أكثر الرحلات إلى الجهاد وطلب العلم، حتى إن المهتم يسافر أشهرا وسنوات من أجل حديث أو أحاديث! ثم جاءت بعد ذلك رحلات غربية سياسية واقتصادية تختبئ تحت عباءة الاطلاع والثقافة، وهدفها جمع المعلومات، وما زالت الرحلات متواصلة، وتقلصها الغربي جاء نتيجة وصول المعلومات للأوروبيين بوسائل أخرى، أقل تكلفة وأسترحالا، إن لم يكونوا أمسكوا بالكثير من الخيوط المطلوبة في بؤبؤ دارها، بل أخذوا في صنعها، ومع هذا يبقى للعرب والصينيين السبق في كتابة أدب الرحلات.

ثم جاءت «رحلات المهاجرين» فأثمرت «أدب المهجر» تلتها هجرة العمال من أجل العمل وتتضح صورها الحقيقية في هجرة أبناء الشمال الأفريقي إلى أوروبا، وتوجه العمالة الهندية للخليج العربي، وسفر شرائح لبنانية إلى أفريقيا، ورافق كل ذلك قصص وروايات وسير ذاتية تستعرض العقبات والنجاحات، وتعالج قضايا الاندماج والعودة، وتصف حالات الانبهار

والصدمة، وعلى هوامشها ظهرت مطاعم هندية ولبنانية وخليجية، وأسواق اندونيسية وسودانية وعربية، ومؤلفات.

ومن أهم الكتب في هذا الميدان رواية «تحليل دم» وكتاب «يموتون غرباء» و «الأيام» و«موسم الهجرة» و «رجال تحت الشمس» .

والرحلات مصدر مهم للمعلومات، ويمكن تلمسها في البحوث التالية : (المغرب العربي من خلال كتب الرحلات) و (رحلات الأوروبيين إلى شمال إفريقيا) و (بعض الرحلات الأسبانية إلى الحجاز) و (الرحلات المغربية إلى الديار المقدسة) و (الرحالة العرب إلى غرب أفريقيا) وغيرها كثير، وربما تكون المعلومات مربكة، والملاحظات واهية، خاصة إذا كان المسافر ضعيف في بنيته الفكرية والعقدية، قليل النباهة، وهذا سر مقولة / أبو الخير التيتاني (إياك وكثرة السفر فانه يقسى القلب، ويذهب الدين) ورأيت فئة سافرت فرجع بعضها وقد ذابت قلوبها وعقولها فيما سافرت إليه، وبعضها زاد إيمانها عمّا كانت عليه قبل سفرها، ويعبر عن هؤلاء، ويمثلهم: محمد إقبال ومالك بن نبي ومحمد المبارك، فلم يقعوا في غرام الغرب، وإن استفادوا من منهجيته العلمية .

وقد اتسع معنى « الرحلات»، وأصبحت أبعادها واسعة، وأدوارها متنوعة، ومنها رصدها لخطوات الإنسان الفكرية، فمصطفى محمود له كتاب (رحلتي من الشك إلى اليقين) ومريم جميلة سجلت مراحل إسلامها في كتابها (رحلتي من الكفر إلى الإيمان)، ودخل الدائرة رحلات الخيال إلى الماضي أو إلى المستقبل ويمثلها (رسالة الغفران) للمعري، وجاءت «السيرة الذاتية» تحمل معنى الرحلة، يضاف إليها الدوران حول الأرض، والرحلة إلى القمر.

والطامة الكبرى (هجرة العقول) تلك الرحلات التي نقلت مئات الآلاف من العرب إلى بلاد الغرب، ليقدموا لهم خلاصة كفاءاتهم وشهاداتهم، وتسببوا بخسائر لأوطانهم تقدر بمئات المليارات من الدولارت، وتؤكد الدراسات أن أمريكا حصلت على المركز الاول في استنزاف عقول العالم الثالث، ونصيبها من العقول العربية وصل نسبته ٣٩٪ منهم.

وفي العصر الحديث هيمنت الرحلات السياحية على الرحلات الأخرى وجاء الاقتصاد يسوقها ويقودها، وأخذت نصيب الأسد من ناحية كثرتها ودرجاتها ومواسمها، ووجد هذا النوع الكثير من خدمات الفنادق والمنتجعات والطائرات والمكاتب، والأنظمة والتسهيلات، حتى إن السائح يعرف كل تفاصيل رحلته قبيل شروعه فيها، ويعلم الكثير عن لحظات ذهابه وإيابه،

ونوافذ غرفته، ولون فراشه، بل وصل الحال بالإنسان أنه يرى من خلال الشاشات الفضائية زوايا لا يمكن الوصول إليها إلا بشق الأنفس، وبذل المال الكثير والوقت الطويل، وفي الغالب لا يراها كما تعرض عليه، ومن الصعوبات الكبيرة أن يتابع بذاته رحيل الطيور من روسيا إلى بحيرات أفريقيا في ساعات قليلة، أو يتمتع بخطوات الرحالين في القطب الجنوبي أمام شاشة التلفاز، وهو يعاني وهج الصيف النجدي.

وأحوال السفر المعاصرة وآلياته ألغت «الغربة» نسبيا، وجعلت السياحة مصدرا مهمًا للاقتصاد، وهمشت «الألم» وقزّمت «الانتظار» ولم تمحهما، وذلك بسبب وسائل النقل العالية الجودة، وتقنية الاتصالات المرئية والمسموعة، ووجود الشبكة العنكبوتية، ولم يبق من وعثاء الرحلات إلا القليل من همومها، ولكنه يناسب النفوس المعاصرة، وينسجم مع ضعف الهمم، واختلاف التطلعات والآمال؛ لذا فالشكوى من السفر مستمرة، والانقباضات عند حلوله موجودة، والفرح بساعة العودة يعم العديد من الأطراف، مع غض الطرف عن نوع الرحلة هل هي سياحية؟ أو تقليدية؟ أو دينية؟ أو استعراضية؟ أو علمية؟، ولكنها ليست كما كانت في السابق، ولا قريبة منه، ويبقى - أخيراً - حقيقة مرة تؤكد ضمور الإحساس بجمال الرحلات، وعجائبها، والانبهار بها!.

وإحصائيات عام ٢٠٠٩م تؤكد أن السياحة تمثل ٣٠٪ من خدمات العالم، ويبلغ عدد السائحين «٨٨» مليون سائح، أنفقوا ٨٥٢ مليار دولار، وتأتي فرنسا ثم أمريكا وبعدها إسبانيا وتليها الصين في طليعة الدول المقصودة للسياحة، ويشير تقرير وزارة الخارجية الأمريكية السنوي عام ٢٠٠٨م أنه يتم استغلال ما يزيد على مليوني طفل في السياحة والتجارة العالمية للجنس سنويا، ويقع معظمهم في شباك البغاء، وتؤكد الأرقام أن السياح الأمريكيين ربع سياح الجنس في العالم، ويتوقع علماء استشراف المستقبل وصول عدد السائحين سنويا عام ٢٠٢٠م إلى ٦,١ مليار سائح ،تقدر مصروفاتهم بتريليوني دولار، ويقدر ما ينفقه السعوديون على رحلاتهم الخارجية السياحية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بـ (٦٥٠) مليار ريال.

وأما محركات سفر الخليجيين المعاصرين فتتمحور حول الأجواء المناسبة، والاطلاع على الطبيعة الخضراء، وتواضع الأسعار، وجودة الخدمات، والسائح الخليجي - في الغالب - لم يدخل تنظيم «سياحة المجموعات» ففيها فضاءات مختلفة، وتكاليف أقل، ولم يلمس أهمية «الخطة المالية» لرحلته من أجل أن يوفر الكثير، ويحمي نفسه من أنياب «مظاهر البذخ» و«لفحات الاستغلال» واللافت للنظر أن الرحلات لديه تحولت إلى مظهر اجتماعي، يستنزف

الإمكانات، ويستند - أحياناً - على العشوائية، ويعبر عن الهروب للخلف، والمباهاة، يؤكده كثرة المكاتب السياحية، وأحاديث الناس قبيل الإجازات، وإشراف الصغار عليه، وشراء بعض الأسر المتوسطة بيوتا في بعض الدول، والأعباء التي تتحملها السفارات الدبلوماسية في فصل الصيف.

والتباين في اختيار البلدان السياحية يرجع - غالبا - إلى ثقافة المسافر، وقدرته المالية، وعمره، والتوجه العام للأغلبية، والتأثير الإعلامي، ومن الطرائف أن الخليجيين يسافرون إلى أوربا والأوربيون يسافرون إلى سريلانكا وماليزيا وجزر القمر، وللنساء - في هذا الزمن - دور كبير ومهم في اختيار جهة الرحلة، أما الأطفال فيجدون المتعة في دبي وسنغافورا وماليزيا، وتزداد معدلات رحلات الخليجيين كلما ارتفعت حرارة الصيف، وكثر الغبار، وامتدت الرطوبة، ثم تأتي بعد ذلك الضغوط الاجتماعية، والإمكانيات المناسبة، والعطلة، والتسهيلات في الإقراض، ويسر إجراءات الحجز والبرامج، وتقنية صرف النقود وإيداعها وحملها، وقدرات الأبناء والبنات على البت، وجمع المعلومات عن الدول السياحية، والاتصال بمكاتب الخطوط الجوية والفنادق، وإنهاء إجراءات الجدولة والحجوزات والتسديدات المالية، بشكل يقلق الاباء لأنهم لم يستسيغوا عصر ابنائهم، بل هم في وحشة منه، وهكذا حركة الحياة وصدام الأجيال .

إن الكثير من الرحلات تكشف بنية الخليجيين الدينية والفكرية، وتزيح الستار عن معدنهم، فالبعض منهم - أثناء الرحلة - ينتقلون من أقصى اليمين إلى أطرف اليسار، ويشعلون الثورة على هويتهم منذ اللحظات الأولى لسفرهم، فيتجردون في ساحة المطار أو بطن الطائرة من خصوصيتهم، ويتنازلون عن ملابسهم التقليدية، وتظهر روائح العطور عالية الجودة، ويختفي حجاب المرأة وعباءتها، ويصل الأمر ببعضهم إلى تتبع الملاهي وما بعدها! وهؤلاء لا يعرفون من البلد إلا ليله، ولا من المجتمع إلا أراذله، ولا من الأماكن إلا باراتها ومواخيرها، وبعض الخليجيين يسعى إلى تعبئة عينيه من المساحات الخضراء، والتمتع بالأجواء المعتدلة، والاستلقاء، وهجاء الصحراء وقسوتها، وانتظار آلام العودة.

وفئة رأت أن الرحلة استمتاع وعلم وفن، ولذا تحتاج إلى مهارة، فأخذت باستقصاء الأمر، وإعداد البرامج، وحركتها ثقافتها وخبرتها ومعرفتها بذاتها وأهدافها، وإصرارها على تكتلها الإرادي، وانتقلت من متحف إلى معلم، ومن معرض إلى مهرجان، ومن الصور إلى الكتب، ولله جل جلاله في خلقه شؤون، وكل ذلك قامت بعرضه وتفصيله (مجلات) متخصصة في السياحة والسفر، لا يحصيها إلا مهتم ومتخصص وهاوي.

وأما السفر من خلال الوظائف الحكومية والأهلية فلها شأن آخر، تحدثت عنها

الأنظمة، وحددت ضوابطها، ومبرراتها، ومدتها، وبدلاتها، واخترق كل ذلك حيل الراغبين بها، والمخططين لها، خاصة الأسفار الرسمية.

والخلاصة أرى أن الرحلات وسيلة من وسائل حب الوطن ومعرفة محاسنه؛ فهي مدارس بدون أسوار، حيث تعلّم الشوق إليه، وتستلهم الجديد له، وتجعل من المواطن سفيراً، ومن السفر زاداً لبنائه، ومن النظرات والكلمات والصور حواراً حضاريا من أجله.

أنواع الرحلات

والرحلات تحولت إلى علم وفن، وتجذرت وامتدت، واستفادت من تقنية النقل والاتصالات والتصوير والإعلام وغيرها، وأخذت (البطاقة المصرفية والحاسوب والكاميرا) مكانة تشبه أهمية (جواز السفر وتذاكر الطيران ومحفظة النقود) ويبقى في قمم الرحلات العالمية خمس شموس تلوح في كل دراسة أو حديث عن الأسفار، وهي:

الأولى: رحلات المسلمين الأوائل من أجل العلم والجهاد، وما فيها من قيم إنسانية عالية، وتضحية نبيلة، وذوق رفيع وهدف سام، لا يمكن أن يأتي بمثلها غيرهم، فهي ثمار منهج إلهي كامل تام شامل، تنوعت وتعددت، وجنى ثمارها جميع البشر، وشكلت المثال الحي الوحيد على حوار الحضارات، وتلاقح الثقافات، وتبادل الحكمة بين الأمم والشعوب، ووضعت البداية الأولى لعلم الأنثروبولوجيا - علم ثقافة الإنسان وأعماله ومجتمعه -.

الثانية: رحلات الغربيين، والتي صورت بالكلمات الغالب من حالات المجتمعات البدائية التي زاروها، ووصفت أدواتهم ولباسهم وأجواء حياتهم، وأصبحت مصدرًا مهمًا للكثير من المعلومات لا يمكن الاستغناء عنها رغم ضيق أفقها، والشبهات حول أهدافها، والنظرات المتعالية من أصحابها، ومن أبرزهم «ماركوبولو» و «كريستوفر كولومبوس» و «فاسكوداجاما» و « ماجلان».

الثالثة: رحلات الرحالة «العبودي» وقد امتدت إلى جميع دول العالم، وتكررت، وأثمرت أرقامًا قياسية، و تجاوز في أسفاره ومؤلفاته وذاكرته وعمره - وهو يمارس السفر - جميع الرحالين العالمين! ولا يزال في وهج عطائه، ودروب رحلاته، رغم مشارفته على التسعين من عمره حفظه الله، وليس من العجب أن يكون هذا الشيخ (البريداوي) عميد الرحالين العالميين، أو من عجائب الدنيا؛ فالعجائب ليس لها مكان أو زمان أو باب أو نهاية، فمعالي الشيخ العبودي كسر الاعتقاد بخلو الجزيرة العربية بما فيها الخليج العربي من أدب الرحلات في القرون الأخيرة،

رغم أنها كانت في الماضي قائدة في هذا الفن، والشيخ - أيضا - تجاوز الأديب (حسين مجيب المصري) رائد أدب الرحلات المعاصر في العالم العربي، والشيخ - ثالثاً - سبق (يوحنا بولس الثاني) صاحب الأرقام القياسية والمتمثلة بـ ١٠٤ رحلات خارجية، وزيارته لـ ١٢٩ بلداً، وقطعه لثلاثة أضعاف المسافة ما بين الأرض والقمر، والشيخ - رابعاً - رفض عملياً مقولة جهاد الخازن (أن العرب بعد الإدريسي وابن بطوطة ناموا، حتى لا يقال ماتوا، وعندما نصل إلى العصور الحديثة نجد أن الرحلات العربية نفسها أصبحت من اختصاص الأجانب)، ومعاليه - حفظه الله - أحرج برحلاته صحيفة بريطانية التي اختارت ٥٠ رحالة في الألف سنة الماضية منهم الإدريسي وابن بطوطة إلا أن شيخنا لم يكن في وسط عقدهم ولا في أطرافه! ولا شك أن غيابه عن أضواء عالم الرحلات يعود إلى زهده في وسائل الإعلام، وتلاميذه ومحبيه، ويعوضه عما سبق كتبه الكثيرة عن رحلاته، والمتميزة بالسرد التلقائي، وبصيرته اللماحة، وأسلوبه المتماسك السهل، واستعانته بالأرقام والمعلومات والصور، واستطراداته خاصة بالمقارنة والتباين والتشابه.

أما الحضور العربي في ميدان الرحلات فهو أكبر من أن يحصر عناوينها كاتب وكتاب، وقد استعرض الكاتب (محمود الدغيم) ما يقارب من (١٤٠) عنوانًا ما بين مخطوط ومطبوع، في مقالين نشرهما في «صحيفة الحياة» يوم الاثنين ٢٧ تموز ١٩٩٢م، ويوم الاثنين ٣ آب ١٩٩٢م، وأعجبها وجود أكثر من ٢٠٠ مؤلف عن مئات الرحلات للغالب من دول العالم، قام بها عميد الرحلات العالمي الشيخ / محمد بن ناصر العبودي!.

الرابعة: رحلات الحج، والرحلات إلى مكة المكرمة، وهي متواصلة منذ بناء الكعبة حتى يومنا هذا، والجميل فيها إشراقات الإيمان في جميع خطواتها، والتمتع بالتعب، وانتظار الثواب من الله جَلَّ جَلَالُهُ، وكونها من جهات شتى إلى مكان واحد، في وقت واحد من كل عام، وأروع وأقدم ما صدر في هذا الشأن كتاب (تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار) للأديب المتميز (محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي)، (٥٤٠هـ-٦١٤هـ) حيث إنها - حتى الآن - أقدم رحلة حج أندلسية مسجلة، ومن أهم الرحلات؛ لما فيها من معلومات جغرافية وتاريخية ودينية، وفيها أسلوب أدبي مؤثر، ووصف دقيق مبهر، وما زالت رحلات الحج متواصلة من كل الأجناس والأعراق والدول.

وأحاديث التراث العربي عن رحلات الحج وما علق بها من ظروف وعواطف، تستدعي التأمل والتعجب، والخوف والفرح، والواقع والأسطورة، ثم هي - بعد ذلك - في حالة تقصير عن سبر كل أغوار الرحلات لمكة، ولملمة أطرافها، والتحديق في نواتها، والنماذج كثيرة، ففي

ميدان القصة تأتي قصة "ابو اسحاق الصعلوكي" في كتاب (المستطرف) و (المناقب)، وقصة "ابن شمعون" في كتاب (مرآة الجنان)، و"الحاج المغربي" في كتاب (مسالك الأبصار) وحجة "موسى بن داود" في كتاب (معاهد التنصيص)، وقصة "عقد اللؤلؤ" في كتاب (الاعتبار)، وحكاية "السوداء وحبيبها عمر" في كتاب (مصارع العشاق)، و"الجمع بين حبيبين" في كتاب (تزيين الأسواق)، و"إبراهيم الحربي والمغنى" في كتاب (جمع الجواهر).

وفي ميدان الشعر، يأتي فن متميز في ذروته وصف الرحلة إلى الحرمين الشريفين بالشعر، ومن ذلك أرجوزة أحمد المأمون، وعدد أبياتها (٥٦٧) يتحدث فيها عن رحلته من "فاس" إلى "مكة"، ولأحمد بن حميد الله قصيدة استعرض فيها سفره لمكة المكرمة، وتجاوزت المائة بيت من الشعر، و"دليل المجتاز بأرض الحجاز" أرجوزة لبدر الدين الحلبي في (١٩٤) بيتاً، ويرادف ما سبق قصائد استقبال الحجاج ووداعهم، وطلب الإذن، ووصف الناقة، وشكرها، وعتقها، وعجائب الحج، كحج من حج ست وخمسين حجة، عشرون منها على المذهب، يعني التوكل على الله بلا زاد ولا راحلة، وما قام به الشهيد (أمير علي الهندي)، حيث عزم على السفر راجلاً يريد الحرمين، وكان يصلي ركعتين في كل خطوة، ولكن شيخه لما سمع عن حاله نهاه فانتهى بعد بضعة أشهر عند مدينة (نول كج) وهي على مسيرة عشرين ميلاً فقط من بلدته.

ويرادفه - أيضا - أدعية غريبة، ونكت متنوعة، وأمثال وحكم، وتقوى وغزل، وصيام وخمر، وسبحان من جعل الاختلاف بين الناس هو الأصل.

الخامسة: رحلة ابن بطوطة (٧٠٣هـ - ٧٧٩هـ) المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) حيث قطع ما يقارب من ١٢٠ ألف كيلومتر، واستغرقت مدتها (٢٧) عاما، تحدث فيها عن أديان المجتمعات التي زارها وحكامهم وملابسهم وطعامهم وتقاليدهم وثقافتهم بأسلوب قصصي جميل، وأجمل ما فيها أن المؤلف فتح أبواب التأليف في الرحلات السياحية، ووضع اللبنة الأولى، وما بعده عالة عليه.

الفصل الثاني
صور من الحياة
في سريلانكا

الفصل الثاني – صور من الحياة في سريلانكا

قبل الدخول في عالم الرحلة، ينبغي التطرق إلى الوجهة (سريلانكا)، والتعرف عليها سياسيا واقتصاديا وجغرافيا وتاريخيا وما إلى ذلك، بما يتوافق مع أهداف الرحلة، وأبرزها الاطلاع على أحوال المسلمين فيها؛ وما سيتم تدوينه مستوحاة من الرحلة، حيث إن معظم المعلومات التالية مصدرها صدور الرواة الذي قابلناهم، وإن رجعتُ لمصدر أو مرجع فإنما هو للتثبت أو لتوضيح مبهم.

لمحة عن سريلانكا

سريلانكا جزيرة كبيرة، على شكل كمثرى، جنوب الهند، تبتعد عن سواحلها الجنوبية بما يقارب من ٣٢كم، ويحتضنها شمال المحيط الهندي، كان اسمها (سرنديب) ومعناها: جزيرة الياقوت، و بعد ذلك (سيلان) حتى عام ١٩٧٢م، واسمها الرسمي الآن جمهورية سريلانكا الديمقراطية الاشتراكية، ومعنى سريلانكا: الجزيرة الممجدة أو المقدسة، تبلغ مساحتها ٦٥,٥٠٠ كيلومتر مربع، وعاصمتها (كولومبو) وعدد سكنها (٢٠) مليون، ولغاتها الأساسية السنهالية والتاملية والإنجليزية، ويقدر نسبة البوذيين فيها بـ ٦٨٪ والهندوس ١٥٪ والمسلمين ١٠٪ والنصارى ٧٪ وموقعها المتميز فتح أبوابها للخارج، وانفتح عليها، نظرا لكونها على الخط البحري التجاري بين العرب وما حولهم، والصين وما حولها، إضافة إلى ما لديها من جواهر وتوابل، و قد أطلق عليها العرب (جزيرة الياقوت).

استعمرت كل من البرتغال وهولندا (سريلانكا) مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، عام ١٥٠٥م، وفي عام ١٨١٥ بدأ دور الاستعمار البريطاني، واستمرت في ظل احتلاله إلى أن حصلت على الاستقلال بعد « ٤٤٣» سنة، وبعد مفاوضات شاقة عام ١٩٤٨، ونظام الحكم فيها جمهوري، يشمل رئيس الدولة، وبرلمان عدد أعضائه «٢٢٥» عضواً، ويقوم الناخبون باختيار الرئيس لفترة ست سنوات، وأهم الأحزاب المتنافسة (الحزب الوطني المستجد) و (حزب الحرية) و (حزب التاميل الليبرالي)، ويمثل المسلمون ثلاثة أحزاب صغيرة، ومن المفاصل المهمة بعد الاستقلال حروب نمور تحرير التاميل (إيلام)، وكانت تسعى إلى استقلال ذاتي في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية، واستمرت الحرب من أجل ذلك ما يقارب من (٢٦) سنة، ما بين عامي (١٩٨٣م- ٢٠٠٩م)، وقد ضمت الولايات المتحدة الأمريكية نمور التاميل إلى قائمة المنظمات الإرهابية عام ١٩٩٧م، و الخفي من الحرب أنها حرب دينية بين الهندوس والبوذيين،

والمشكلة فيها أن المسلمين في حلبة الصدام[1].

والديانة الهندوسية - لمن لا يعلم - هي ثقافة وفلسفة حياة، أكثر من كونها دينا، «ولدت في الهند»، ويتجاوز عمرها الآن «٣٠٠٠» سنة، ولها عدة آلهة وفرق، ومن أُسس الإيمان بها قبول التناسخ، والتأمل، وتقديم القرابين، ويقدر أتباعها بـ (٨٠٠) مليون إنسان، تحتضن غالبيتهم الهند، وبقيتهم من الشرق والجنوب الشرقي لآسيا.

أما «البوذية» فتعتمد - أولا - على تعاليم (بوذا)، وأساسها الحقائق النبيلة الأربعة:

١- الحياة إنتاج المعاناة والألم.

٢- قدرة الإنسان في التجرد من أنانيته.

٣- معاناة الإنسان نتيجة رغباته.

٤- المنقذ للإنسان المسارات الثمان/

الفهـــم الصحيح • الفكر الصحيح

الكلام الصحيح • العمل الصحيح

المجهود الصحيح • الحياة الصحيحة

الانتباه الصحيح • التركيز الصحيح

والملفت للنظر في سريلانكا كثرة التماثيل المعبرة عن أديانهم، وحجمها، ومواقعها الاستراتيجية في المدن والطرق، ومن العجائب الغياب الكامل للديانة (السيخية) فيها.

المسلمون في سريلانكا

وصل الإسلام إلى جزيرة سريلانكا قبل وصوله إلى الهند، وإن أصبحت الهند - فيما بعد - بابًا من أبواب الإسلام والمسلمين إليها، فعن طريق التجارة حمل التجار المسلمون الإسلام إليها، وهو امتداد لما يربط سريلانكا قبل الإسلام مع الجزيرة العربية، واستيطان بعض العرب بها، وتضاعف التبادل الاقتصادي بين الطرفين في العصر الأول للدولة الإسلامية بسبب تحول العرب إلى أمة واحدة، ودولة لها كيانها ومتطلباتها وانفتاحها على من حولها، ومن طرائف

١) سيأتي كلام مستقل عن هذه الحرب في صفحة ٣٥.

التاريخ أن فتح شبه القارة الهندية كان بسبب العلاقات المتينة بين المسلمين وسريلانكا، وذلك حينما اعترض مجموعة من (الديبال) - قريبون من كراتشي- لسفينة قادمة منها على متنها عدد من التجار المسلمين، واستولوا عليها مما دفع (الحجاج بن يوسف) إلى تجهيز جيش بقيادة/ محمد بن القاسم لتأديبهم، فتمخض من التأديب فتح الهند والتمدد فيها بعد ذلك!.

المسلمون في سريلانكا يتكلمون باللغة التاميلية، وينقسمون إلى قسمين:

الأول: المورو، ويشكلون ٩٥٪ من مسلمي سيريلانكا، والغالب منهم من أصول عربية وهندية.

الثاني: الملاويون ويقدرون بـ ٤٪ من المسلمين السريلانكيين، وهؤلاء جاء بهم الاستعمار الهولندي من جزر اندونيسيا.

ولاشك أن الاستعمار البرتغالي والهولندي ثم البريطاني للجزيرة أضعف المسلمين، ودفعهم للهجرة من غرب وجنوب سريلانكا إلى شمالها وشرقها، وقد أزال الاستعمار قرى ومدن إسلامية كاملة، وقضى على كل ما يشير إليهم، ونزع التجارة منهم، إضافة إلى تأسيسه مدارس تنصيريه تمدهم بالموظفين واليد العاملة، أعرض المسلمون عنها، وأرى - والعلم عند الله- أن سريلانكا ستكون دولة إسلامية لو أن الاستعمار لم يضرب خيامه فيها، ويتخذ المسلمين العدو الأول له، واللافت للنظر أنها بقيت ما يقارب من خمسة قرون تحت ظل الاستعمار الغربي، وهيمنة الغرب في العصر الحديث، ولكنها لم تسفر إلا عن ٧٪ من المسيحيين، وبالمقابل، ورغم معاناة المسلمين من الاستعمار، وبقية جيوبه فيما بعد، ومصادرة ثروات أبنائهم فنسبتهم أفضل، وتمددهم أقوى، وحضورهم أظهر!.

بعد استقلال سريلانكا عام ١٩٤٨م أخذ المسلمون مساحات من التواجد والتأثير والدور أكبر من نسبتهم؛ من خلال ما يشغلونه من وظائف حكومية، وحضور اقتصادي واجتماعي، ومن خلال وجود قضاة ومحاكم خاصة بهم، تعالج قضاياهم الشخصية كالزواج والطلاق والإرث والوصايا والوقف، إضافة إلى ما لهم من برامج إسلامية في الإذاعة والتلفاز والصحف، خاصة في المناسبات الدينية كرمضان والعيدين، واعتراف الحكومة بهما، واعتبارهما عطلات رسمية، ووجود مدارس حكومية خاصة بالمسلمين، ويسبق ذلك كله «وجود جمعية علماء مسلمي سريلانكا» ومهمتها معالجة قضايا المسلمين السريلانكيين مع الحكومة، وتنظيم أمورهم، وتمثيل المسلمين أمام الدول الإسلامية، وفي الجمعية جميع الاتجاهات الإسلامية

السريلانكية وفي مقدمتهم «الجماعة الاسلامية» و «التبليغ» و «الصوفية» و«السلفية»، وإن كانت الأخيرة قليلة العدد فهي كثيرة الإمكانية والتمكن، وكل تلك المفاصل والجماعات خدمت الإسلام والمسلمين في سريلانكا، وجعلتهم رقما متميزاً، وشريحة ينظر إليها بعين الاحترام.

أما شباب الإسلام فالقليل منهم في معاناة من أجل مواصلة تعليمهم، وبُعد بعض العلماء والمفكرين عنهم، وتأثُرهم بالعولمة الغربية، ونحتها المتواصل لهويتهم الإسلامية، وهبوب تهم الإرهاب على أنشطتهم والتزامهم، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأما ما قبل ذلك فكانت توجيهاتهم قوية ومؤثرة، ومنها أنهم قاموا بتأسيس جيش رمزي إسلامي للمشاركة في تحرير القدس، أثر احتلال الصهاينة لها عام ١٩٦٧م، وأطلقوا على شارع يتجه إلى القدس «شارع بيت المقدس» يأملون أن يمتد إلى فلسطين، ويقدر امتداده بـ (٥٤٠٠) كم.

وأثناء البحث عن أحوال المسلمين في سريلانكا، والحوار مع بعض المهتمين بهذا الشأن تشكلت الصور المختزلة عنهم بالنقاط التالية:

أ - سبق وصول الإسلام سريلانكا وصوله إلى الهند؛ بسبب الصلات القوية والقديمة بين العرب والجزيرة السريلانكية، وكان مقدمة المسلمين فيها هم التجار في القرن الأول الهجري، ويظهر أن الوصول إليها كان سمة تجار الخليج والجزيرة العربية قبل الإسلام بمئات السنين؛ لما فيها من توابل وجواهر، ولأنها طريق بحري لازم لمن يريد شرق الهند وجنوب الصين وما بينهما من جزر، ويقدر عدد المسلمين السريلانكيين اليوم بمليون وستمائة ألف مسلم سريلانكي.

ب - لا تخلو منطقة في سريلانكا من مسلمين ومساجد، ولكن الأغلبية منهم يتواجدون في شمال الجزيرة وشرقها وشمالها الشرقي، وقد عانوا من «نمور التاميل»، ومن «قوات حفظ السلام الهندية»؛ حيث بلغ عدد اللاجئين المسلمين (٢٠٠) ألف نسمة، وبلغ عدد المساجد التي تم هدمها (٢٠٠) مسجد، وهي أرقام كبيرة بالنسبة لعددهم.

جـ- للمسلمين مدارسهم الخاصة، ويقدر عددها بـ (٥٠٠) مدرسة ابتدائية، وما يقارب من ١٥٠ معهدًا، الغالب منها يدرّس اللغة العربية، وجميعها تشرف عليها الدولة.

د- للمسلمين مئات الجمعيات والمؤسسات الخيرية والإصلاحية والتربوية والتعليمية، ويصدرون ثلاث صحف، ولديهم حزب سياسي (حزب المؤتمر الإسلامي السريلانكي)، تأسس عام ١٩٨١م، ومقره مدينة " كولومبو"، وأحوال المسلمين السياسية

في سريلانكا تكاد تكون قوية وفاعلة، تتكئ كثيراً على إدارة المسلمين لها، فهم أقلية ولكنهم يستطيعون أن يكونوا مؤثرين إذا هم لعبوا دور المرجح بين حزبي الحكومة والمعارضة، وأداروا أمورهم في وطيس الانتخابات، ويبقى أثناء ذلك وبعده حنكتهم في إملاء مطالبهم وتحقيق آمالهم، وتحديد حجم حضورهم الرسمي.

هـ- يعاني المسلمون من ضعفهم المادي، ومن تمزق طائفي، خاصة بين السنة والصوفية، ومن فرق ضالة كالقاديانية والبهائية ومنكري السنة، ومن نشاط شيعي إيراني أخذ بالاتساع والتجذر عن طريق الالتفاف حول الصوفيين، ووضعهم ما أمكن في سلتهم.

وبشكل عام المسلمون في سريلانكا حسب الانطباع العام من خلال اللقاءات والمشاهدات ضعفاء في الإمكانيات، إلا أنهم أقوياء في التواجد والتأثير، وربما تكون هيبتهم أكبر من نسبتهم، وهم في الماضي أفضل، وصورهم في التاريخ أكثر، يؤكده مساجدهم الكبيرة القديمة، في مراكز المدن ووسطها، وخلو الأطراف من مساجد جديدة، وربما يكون لنمو الأصولية الهندوسية المعاصرة دور ما مع الحملة الأمريكية على الإسلام والمسلمين في عهد حكومة بوش، والتقارب الهندي الأمريكي، والتدابير السياسية، وتفكيك تلك الأحداث والمواقف بعد العولمة، ووضع الأصبع على الجرح من أصعب الأشياء وأكثرها خطورة وألما ونتيجة في هذا الزمن، حيث إن المسلمين في سريلانكا جزء كبير منهم عانوا من حرب "التاميل"، وآخرون عانوا من بعض وحدات الجيش الهندي في سريلانكا، وقسم ثالث فقد التأييد والدعم من دول إسلامية غنية، فتأخرت بعض مشاريعهم كاملة، وبعضها توقف الجزء الثاني منها.

وسوف يرد في ثنايا الفصل الثالث (وصف الرحلة) المزيد من الحديث عن المسلمين وشؤونهم إن شاء الله.

أما سريلانكا في كتب التراث العربي القديم فإنها تنظر إليها من زاويتين، أنها مهبط آدم u، والروايات عنها كثيرة والأدلة غائبة، ولكن يوجد شيء من الأثر أن آدم وحواء التقيا في "عرفة" لذا سميت بهذا الاسم، وتقول كتب التراث أن جبل سرنديب (سيريلانكا) من أعجب جبال العالم، هبط عليه آدم، وأما حواء ففي جدة، وإبليس بالأيلة - ناحية البصرة- والحية بأصبهان، وقد شغلتني رمزية التقسيم ودلالته عن جذور الرؤية.

والزاوية الأخرى لسريلانكا في كتب التراث العربي تشير إلى أنها "جزيرة الياقوت"، وأرض الجواهر، وبلاد القرنفل، وجبال سرنديب، وقد ذكرها الإمام الشافعي في شعره حينما

دعا إلى القناعة والرضا المؤدية إلى الحرية فقال :

أمطري لؤلؤا جبال سرنديب ... وفيضي آبار تكرور تبرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتا ... وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفرا

وقريب من هذا قول المعري وقد استولى بسحر كلماته على المعنى السابق:

لي القوت فليعمر سرنديب حظها ... من الدر أو يكثر بغانة تبرها

أما الشاعر المعاصر المتميز (محمود سامي البارودي) فهو أكثر الشعراء إقامة بها وتضجرا منها، ولعل سر ذلك أن إقامته جاءت على رغمه! فهي ليست متنزها له، ولكنها سجن طويل لازم، أبعده عن أوطانه وأحبابه جبرًا ولمدة ثمانية عشر سنة، ولذا جاء شعره في سريلانكا حزينا سيئا، يحمل مرارة الغربة، وهمّ الوحدة، وظلمات الظلم، ولم يلطفه أجواء الجزيرة وغاباتها وشلالاتها ومنه:

ياندميّ من سرنديب كُفا ... عن ملامي وخليا ني لما بي
كيف لا أندب الشباب وقد أصـ ... ـبحت كهلاً في محنة واغتراب

ويقول:

ياندميي في سرنديب كفا ... عن ملامي فليس يغني الملام
أنا في هذه الديار غريب ... وغرب الديار ليس يلام

ويقول:

لا في سرنديب لي خل الوذبه ... ولا أنيس سوى همي وإطراقي

وفي ديوانه المزيد، ومن الصعوبة قبول أقواله من قبل جاهل بأحواله.

بين السلفية والصوفية

قبل وصولنا إلى سريلانكا بأسابيع حدث صدام بين السلفية والصوفية في سريلانكا، وأدركنا آثاره، وسمعنا ردود الأفعال عليه من خلال الأفراد والمؤسسات الإسلامية وخطباء المساجد والعلماء والمعلمين، وأصداؤه جاءت من كونه حدثا كبيرا ونادرا، تمخض منه قتلى وجرحى، والتخلل في معطياته تؤكد تراكم الأخطاء بين السلفيين والصوفيين، وصبر بعضهم على بعض، وعمق الجرح، وقلق كل واحد من الآخر، وكأن ما حدث القشة التي قصمت ظهر

البعير، فصفوة الصوفية ورؤساؤها وأبناؤهم، كانت مهيمنة على المجتمع الإسلامي السريلانكي مئات السنين، تستمطر عواطفهم وجيوبهم من خلال أيامهم الدينية، واحتفالاتهم المتواصلة الصحيحة والخاطئة، فيصلهم الكثير من زكوات وصدقات وأوقاف ووصايا ونذور، ولكن دوام الحال من المحال، فقد نمت السلفية في سريلانكا على يد طلبة تعلموا في المملكة العربية السعودية، وعضد لهم سماحة العالم المفتي / عبد العزيز بن باز - رحمه الله - من خلال جهوده الشخصية والرسمية، النابعة من (رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد)، التي كان هو على قمة هرمها في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الميلادي الماضي، وزاد الأمر قوة وتجذرًا دعوة الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - لجميع المسلمين نحو التضامن الإسلامي، فأثمرت خطواتهما «دعوة أثرية سلفية» عالمية، تتكئ على الخالص و الصائب من الأعمال الإسلامية، وتتخذ من القرآن الكريم والسنة المطهرة تعاليمها، وتتلقى الأحكام من النبع الأول الصافي، متجاوزة الروافد المتأخرة، والسواقي الفرعية، والمشايخ المتأخرين، فأثرت في دعوات كثيرة تقليدية، صبغت نفسها بالقداسة، وحصرت أتباعها بدائرتها، دعمها خطاب سياسي قوي، وفاعل، شملت مجتمعات كثيرة، ودولا متعددة، فأغلقت الأبواب والنوافذ على أولئك، وفضحت الجهل أو الطمع أو كليهما فيهم.

يتجاذب الصوفية في سريلانكا خمس مدارس قوية وفاعلة، هي: (القادرية، الشاذلية، الرفاعية، العلوية، النقشبندية)، والأولى ذات هيمنة وحدية، قادت المواجهة مع السلفية، واستثمرت خطبة « جمعة » في مدينة «بيرولا» ألقاها شاب سلفي، لوّنها بالعواطف، وانتقد فيها يومًا من أيام الصوفية « القادرية »، يوازي ليلة ختمة القرآن الكريم في الحرم المكي آخر رمضان، يطلق عليه « ختم البخاري »، يهتم فيه أغلب الصوفية في سريلانكا، وتشارك فيه الحكومة تشجيعًا وتنظيما، وقد زاد الطين بله انقطاع الكهرباء عن مسجد الصوفية القريب من المسجد السلفي، الذي ألقيت فيه الخطبة، فجاءت كلمات الخطيب واضحة صريحة قوية، وكأنها موجهة إليهم، فاستشاطوا غضباً، وأعدوا العدة للهجوم على المسجد بعنف بعد العشاء، انتقامًا وتأديبا ودفاعًا، وقتلوا ثلاثة من السلفيين، وجرحوا ما يقارب العشرين منهم، وأفسدوا الكثير من منشآت المسجد وخدماته، وألقت الحكومة القبض على بعض الأطراف المهمة، ويتداول الناس - أثناء وجودنا في سريلانكا - أمر إحالتهم للمحكمة، ويتحدث الكثير من المسلمين بحزن عن هذه القضية، ويدعون إلى التسامح والوحدة، وخطورتها تكمن في قلة عدد المسلمين التي يحرثها التمزق والخلاف، حيث إن نسبتهم تقدر بـ ١٠٪ فإذا كان الصوفية ٣٪ موزعة على مؤيد ومعارض ومتوقف في هذا الصدام، والسلفية ٣٪ تتراوح مابين طرفين

ووسط أمام المشكلة، والبقية تتقاسمها جهات محايدة وأخرى تابعة لجماعة التبليغ، وأخيرة تنتمي للجماعة الإسلامية، فكيف يكون للمسلمين شوكة؟! ومن ينقذهم من خطر الخلاف والتشتت؟ وماذا بقي لهم من وحدة وتكتل؟، إضافة إلى ما يحمله من داء يشوه سمعتهم بين أصحاب الأديان الأخرى، بعد أن كان يضرب بهم المثل في الأخوة والألفة، وزاد الطين بلّة أحداث ١١ سبتمبر، والحملة الجائرة في وسائل الإعلام العالمية على الإسلام والمسلمين، كما أثر فيهم التزامهم اللا إرادي باللغة التاميلية، فوضعوا ظلماً في دائرة خصوم السلطة، فتشوهت مكانتهم، وقد دفعوا الكثير من الأرواح والأموال والأراضي بسبب هذا التصنيف الجائر.

وللتذكير، فقبل وصولنا إلى سريلانكا بسنوات، عانت من (تسونامي)، وذلك في ديسمبر ٢٠٠٤م، وذهب ضحيته ما يقارب من ٣٥ ألف نسمة، وقد لمسنا أضراره وأصداءَه، وبعض قصصه المؤلمة، ويعتبر مفصل مهم في تاريخ الجزيرة، سوف تحتفظ فيه الذاكرة قرونا عديدة.

حرب التاميل

إنها حرب عرقية، يقودها أقلية اجتماعية سريلانكية، استمرت ما يقارب من ربع قرن، أضعفت الدولة، وبددت تطلعاتها ومواردها، وهدف التاميل منها استقلالهم، وحالهم حال كل الأقليات المضطهدة، فلديهم رغبة عاطفية بدولة خاصة بهم، نتيجة إحساسهم بالتهميش من قبل الأكثرية -السنهال-، ولذا استفحل - في نظرهم - الاستبداد، وانكمش الاعتدال، وتمدد التمييز الظالم، وتراكمت الأخطاء، واتسعت الفجوات، واتجه الطرفان للعنف، رغم روح الوعي لدى الشعب السريلانكي، وارتفاع مستوى الدخل، إلا أن هذا لم يحل دون مقتل ما يقارب من مئة ألف إنسان، غير المصابين والمهجرين، والمؤلم أن أغلب ضحايا الاشتباكات لم يشاركوا في الصراع، وقد تسربت أخبار تؤكد أن للجيش الباكستاني دور كبير في انتصار الحكومة السريلانكية على التأميل، وربما كان خلف دعم التاميل الهند، ويعتبر هذا العام -١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م- النهاية التامة لهم، رغم فدائيتهم، واستعمالهم - لأول مرة - العمليات الانتحارية الفردية بالأحزمة .

الفصل الثالث
وصف الرحلة

مولد فكرة الزيارة

تلقيت طلبًا شفهيًا يوم السبت الموافق ١٤٣٠/٧/٢٥هـ ٢٠٠٩/٧/١٨م من ابنتي الوسطى (مها) بعد التنسيق والاستشارة مع أختها الكبرى(رباب) في رغبتهما في الحديث معي دون أن يحددا موضوعه، وتحقق لهما وليّ ذلك، في عصر يوم الاثنين الموافق ١٤٣٠/٧/٢٧هـ ٢٠٠٩/٧/٢٠م، واتجه الحديث بيننا بشكل مباشر ودون مقدمات إلى رغبتهما في أن تقوم الأسرة برحلة سياحية خارج الأوطان، وتم المرور أثناء المناقشات بجزر القمر وسوريا وتركيا ودبي، ثم استقر الحديث حول سريلانكا، وتخلل الحديث ذكر شيء من الأزمة المالية المتوقعة خلال الأشهر القادمة بسبب قرب تقاعدي في رجب عام ١٤٣١هـ، ورغبتي في شراء بيت نسكن فيه بمدينة «بريدة»، إلا أني رأيت بعض الإلحاح من زاوية، وأحسست بالضغوط عليهما من خلال بقية أفراد الأسرة، وكأنهن يتحدثن عنهم بالنيابة، وأخبار سفر عدد من الأسر المحيطة بنا من زاوية أخرى، إضافة إلى أن الفكرة حركت أمنية سفر قديمة إلى سيريلانكا، كانت تعتلج في نفسي، ولقربها، واعتقادي أن أسعار التذاكر مقبولة، والمناظر الطبيعية الخلابة فيها تستدعي زيارتها، حيث الجمال الطبيعي، والشواطئ النظيفة، والغابات الاستوائية، إضافة إلى ما فيها من تراث وآثار ومتاحف، وتكاليف الرحلة إليها أقل من غيرها، ووجود رغبة خفية في الاطلاع على أحوال المسلمين فيها، وإعجاب و تشجيع الشيخ/ عبد العزيز العمار؛ وكيل وزارة الشؤون الإسلامية للشؤون الإسلامية، في زيارتها أثناء حديث عابر معه عن سيريلانكا منذ تسعة أشهر أو أكثر.

إن اختيار جهة السفر، وتكامل الشروط المناسبة فيه، واقتراب خصائصه مع مواصفات المسافرين، وتوفر المعلومات عنه، واستقرار أحواله الأمنية والاقتصادية، وتسهيلاته السياحية، تسهم في نجاح الرحلة، كما أن متطلبات الأسرة المسافرة، وعددهم، وجنس الغالب منهم - ذكورًا إناثًا - وميزانية الرحلة، والهدف منها، ومدتها، ولغتهم وثقافتهم كل هذا يلعب دورا مهما في تحقيق الحد الأقصى من فوائد السفر، ويزداد الأمر روعةً حينما يُعرِض أفراد الرحلة عن كل ما يؤرقهم، ويُظهرون مشاعر الحب، ويتجردون من ضغوط العمل والتجارة والمجاملات الاجتماعية.

أعطيتُ الابنتين الموافقة المبدئية، وكلفتهما بوضع الخطة والحجز لدى أحد الخطوط الجوية، وفي الفنادق، وأشعرتهما بأن دوري فقط دفع التكاليف ومرافقتهم، وقد أصبت عصفورين بهذا التكليف هما: تعليمهم وراحتي، ولم يعتذر عن مرافقة الأسرة سوى الابن الكبير (موسى) نظرا لدراسته الصيفية في الجامعة، أما البقية فهم (فريق الرحلة) الأب (عبد الله)

الزوجة (أسماء) والبنات (رباب، مها، غدير) والأولاد (صالح، محمد، مهند)، وأما الوالدة فهي لا ترغب في مثل هذه الأسفار خاصة أنها كبيرة في السن، وتقيم هذا الشهر في بريدة، وأما الخادمة فسوف تبحث (أم موسى) عن بيت من بيوت الأقرباء أو الأصدقاء في الرياض يؤويها حتى عودتنا، وقد عانيت من هذا القرار، فالخادمة جزء من الأسرة، إلا أن إجراءات الخروج والعودة والحجز لها وسكنها وتذاكرها تحتاج إلى وقت ومال، وأراحني أنها لم تتطلع للسفر، ولم تفكر فيه.

مضى أسبوع والمناقشات متواصلة بين (موسى) على أساس أنه منفذ بعض القرارات والتعليمات والعمليات الخارجية للسفر، وبين رباب ومها وغدير وصالح، وأمهم أحيانا، وأحاديثهم تدور حول برامج الرحلة، والمعلومات المستلّة من الشبكة العنكبوتية، ومن بعض الكتب والكتيبات التعريفية والسياحية، ومن خادمة سريلانكية تعمل لدى أختي، إلا أن الفكرة تم إحالتها إلى العناية المركزة حينما جاء الحديث عن عدم جواز السفر السياحي إلى بلاد غير مسلمة، وامتد الحوار إلى تفاصيل التحريم؛ فتحريم مطلق رأى عدم العيش بين ظهراني المشركين، ودعم اقتصادهم، والأحاديث الدافئة معهم، ووصل الموضوع إلى مراحل متقدمة من الإلغاء، بل تم الإلغاء وبقي إعلانه، أو ذكر الأسباب حفظًا لماء الوجه، بل صياغة الأسباب المقبولة لقبول انهيار فكرة ملأت القلب والعقل، وعاشت الأسرة في ظلها لحظات سعيدة، وتصورات جميلة، وآخر - من العلماء - يرى أن مشاهدة المنكرات، و الفنادق وما فيها كافية في تأكيد الكراهية إن تم استبعاد التحريم، سمعت التفاصيل حينما تجاوز الحديث الهمس، وكأني فضلت الاستخارة دون إعلانها، ورأيت في نفسي أن السفر إلى (أبها) حل مناسب من عدة زوايا، إلا أني لم أهتبل المناسبة، ولم أستغل الخلاف الفقهي، ولم أوظف وباء أنفلونزا الخنازير، بل قلت في حالة هدوء للابنتين الكبرى والوسطى وأمهما: (إن السفر إلى سريلانكا قد يكون مستحبا إذا رافقه زيارة مدارس إسلامية، والالتقاء بعائلات مسلمة، وأخذنا معنا عددًا من الكتب ونسخًا من معاني القرآن الكريم باللغات السريلانكية، مع أشرطة و كتيبات و (أقراص مدمجة) عن القرآن الكريم، وبعض المحاضرات، إضافة إلى المطويات الدينية)، ثم أضفت بشكل إيحائي يحث الخطأ على استمرار العمل من أجل السفر إلى سيريلانكا: (ومن الأفضل أن أزور سفارة المملكة العربية السعودية في سريلانكا إذا تحقق السفر، وألتقي مع سعادة السفير السعودي هناك، وأتحدث معه عن قضايا المسلمين في سريلانكا، وأستفسر عن بعضها وأحاول وضع آلية من خلال الحوار والرؤى لدعم بعضها الآخر، وتوظيف عملي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في هذا المضمار، وإذا قمنا بما قلت أو بما يشبهه فإن زكاة الرحلة تم دفعها وزيادة إن شاء الله، واستطعنا تجاوز المحظورات المؤدية إلى التحريم أو الكراهية)، ومن المؤكد أن عملا كهذا يدخل

دائرة تفعيل الرحلات الدينية. بعد هذا الحديث خرجَت الفكرة من العناية المركزة، وأخذت جهود الابنتين بالنمو أكثر مما سبق.

وتم الحجز على الخطوط السعودية؛ وذلك صباح يوم الأربعاء ١٤٣٠/٨/١٤هـ، الساعة (٢:١٠) صباحا على الرحلة، رقم (٧٨٤)، وعلى الطائرة (٧٤٧) بوينج، وقد بلغت القيمة الإجمالية للتذاكر ذهابا وإيابا (١٣,٢٢٥) ريال، وبلغ مبلغ أجار الفنادق المدفوعة في الرياض (١٢,٢٠٠) ريال وتم رصد مبلغ (٤٠٠٠) ريال كميزانية لرحلة تستغرق واحدًا وعشرين يوماً، مع وضع نسبة من النقد الاحتياطي لبعض الظروف الطارئة، وقدره ألف دولار حمانا الله منها.

ورأيت أنه من الأفضل إيداع مبلغ آخر، وقدره (٣٠٠٠) ريال في حساب موسى ليكون في حالة الإسعاف إذا ما ...، ولا شك أن المسئول عن العائلة في السفر يكون مشغولًا بهم وبمعاناتهم الحقيقية والمحتملة والمتخيلة، ويحاول استشراف بعض العقبات ليتجاوزها، ومن المؤكد أنه لا يلام إن هو بالغ واحتاط وخاف وتردد[1].

اتجهت يوم الاثنين ١٤٣٠/٨/٥هـ إلى بريدة لحضور زواج ابنة العم عبد الرحمن، والتقيت بأمي وأخبرتها بسفري إلى سيريلانكا مع العائلة، لكنها أعلنت - وقليلا ما تفعل - خشيتها من الرحلة على صحتي، وأشعرتها أني لن أحمل حقيبة في سفري ولن أدفع عربة أمامي، إلا أنها تمتمت بكلمات معناها أنك لا بد أن تشق على نفسك، ولن تستطيع أن تتكل على غيرك حتى لو كانوا أبناءك وبناتك، فأخبرتها أني لم أتدخل حتى هذه اللحظة في ترتيب السفر، أو وضع برنامجه، أو تحديد وتأكيد حجوزاته، وسوف أواصل العمل بهذا المنهج.

خلال هذا اليوم قرر الابن موسى المشاركة بالرحلة. والسفر مع أفرادها، على أن يعود قبل بداية رمضان، ورتب الأمر مع أستاذ المادة الصيفية ومع زملائه.

في صباح يوم الأحد، وأثناء عملي في المكتب طلبت ملف «المسلمون في سريلانكا» واطلعت على الكثير من المعاملات المتضمنة طلبات إعانة، ودعوات زيارة، وأخبارًا وتقارير،

---

١) ملاحظة :
الريال يعادل ٣٠ روبية سريلانكية.
الدولار يعادل ٣,٧٥ ريال سعودي.
الدولار يعادل١٣٠ روبية سريلانكية.

وسجلت في دفتر خاص بعضها مع عناوينها؛ لعلي أجد الفرصة والوقت في سريلانكا لزيارتها، ومتابعة بعض أحوالها، والتأكد منها أو كتابة تقارير عنها، ثم طلبت أسماء الشخصيات الإسلامية المهمة من إدارة الدعوة بالخارج، (داخل وزارة الشؤون الإسلامية) فكان الشيخ/ محمد مخدوم مبارك، الأول والأخير وهو المشرف العام على الدعاة هناك، وبعد ذلك اتجهت إلى (إدارة الإشراف على طباعة القرآن الكريم) وطلبت مجموعة من معاني القرآن الكريم باللغة السريلانكية، مع أخرى من اسطوانات مدمجة، فتسلمت كرتونا فيه (٢٠) نسخة من معاني القرآن الكريم باللغة التاملية، أما اللغة الأخرى الرسمية و الشعبية (السنهالية) فلا يوجد فيها شيء رغم أهميتها وكثرة المتكلمين بها! وأخذت مجموعة من معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، مع كتيبات تعريفية بالإسلام.

يوازي هذا الخط، خطوات شراء الملابس المناسبة للرحلة، فاخترت وموسى الملابس الباكستانية، لشبهها بالملابس السعودية، ولما فيها من راحة، وقلة شهرة، وبُعدها عن الملابس الغربية والتشبه بها، واختار صالح الملابس العالمية (بنطلون وقميص).

في ضحى يوم الثلاثاء الموافق ١٤٣٠/٨/١٣هـ - ٢٠٠٩/٨/٤م اتصلت بالأخ علي الجريس المسؤول عن مكتب هيئة الإغاثة بالرياض؛ للاستفسار عن مشروع اجتماع في مكتبه بعد ظهر هذا اليوم، إلاّ أنه أفادني بتأجيله، فأشعرته بسفري إلى سريلانكا؛ خشية أن يُحدد موعد الاجتماع خلال الأسابيع الثلاثة القادمة، وسألته عن الجهة المسؤولة عن مكتب الإغاثة في سريلانكا؟ وهل هو تابع للمكتب في الرياض؟ فقال: إنه تابع لمكتب «بريدة»، وأن د/ سليمان الصقري هو المرجع الأول له، واستطاع أن يربطني به بواسطة الهاتف، وتحدثنا باختصار وبدون مقدمات، وأعطاني رقم هاتف مدير المكتب في كولومبو، وهو السيد/ صديق نوفر ورقمه: (.....)

إضافة إلي سكرتير الهيئة الأخ أويس ورقم هاتفه (.....) علق بذهني من المكالمة مع الأخ علي، موقفه المعارض والواضح والمباشر والحاد من زيارتي إلى سريلانكا، وأنها لا تستحق الوقت ولا الجهد، ولا التكاليف التي بها أو بما يقاربها يمكن اختيار دولة أفضل كـ (تركيا) و(ماليزيا) و (اندونيسيا)، ولعل سبب تفكيري بما قاله يعود إلى أنه الرأي الوحيد المعارض بعد الوالدة، وإن كان هناك من لاذوا بالصمت، والشيء الذي يحل اللغز إجابته على سؤال لم أطرحه عليه، هو: هل سافرت إلى سريلانكا؟

بداية الرحلة

أعددنا أنفسنا للرحلة، وتحول البيت إلى خلية نحل منذ صباح يوم الثلاثاء، وإن كان هناك تباين بالمهام والاهتمامات، إلا أن الجميع يتجهون إلى هدف واحد، وبعد صلاة العشاء مباشرة تم توصيل الخادمة الاندونيسية إلى بيت أحد الأصدقاء، الأخ العزيز محمد العقيل، واتجهنا إلى المطار الساعة ١٠,٥٠ على سيارتين صغيرتين، كل سيارة بأربعين ريالًا، يرافقنا تسع قطع من العفش (حقائب+كراتين) بلغ وزنها (٢٧٠ كغم) الغالب منها كتب وتمر، والتمر مطلب المسلمين الأول في سريلانكا بسبب قرب رمضان.

ومن محاسن الصدف أننا التقينا في صالة المطار الداخلية، وبعد إنهاء إجراءات السفر بعائلة الأخ منصور البشر، وهو ابن خالة زوجتي، وخالها من الرضاعة، وطريقهم طريقنا، وكان في معيته أسرته (زوجته، وأبناؤه الثلاث، وثلاث بنات) وقد تشكل من الأسرتين في صالة المطار حلقتان، الأولى نسائية والأخرى رجالية، واستمرت الأحاديث بينهم حتى حان وقت دخول الخرطوم المتحرك المؤدي إلى الطائرة.

كان موقع مقاعدنا بالطائرة – وكل السعوديين – في القسم الأعلى منها وهو أنسب من قسمها الأسفل، وخاصة وسطها ومؤخرتها، ومن الطبعي أني لا أعاني من خوف ركوب الطائرة، فقد روضتني كثرة الأسفار؛ حيث سافرت إلى اليابان وأمريكا ونيجيريا وباكستان وإيطاليا وغيرها، ولكني أقلق قبل السفر بأيام من السفر نفسه، وتأتيني بعض الوساوس الخفيفة، لعلها خليط من الهمّ والإعداد وفوضوية التنظيم، ولكنها تتبخر حينما أتجه إلى المطار، وكأن الخيارات انتهت، والمعركة بدأت، ووسوستي لا جدوى منها.

نظرت إلى عائلتي في بطن الطائرة، وقد استقر كل واحد في مقعد، ثم مررت بنظري إلى المضيفين والمضيفات، واستقر نظري على واحد منهم، متميز بعلامات مختلفة على كتفه، وبملاح توحي بتقدمه في السن والدرجة، فتصورته قائد الرحلة إن لم يكن هو، وتساءلت بلغة المتأمل هل صيانة الطائرة قوية وفاعلة؟ وهل هواؤها جيد؟ وهل إدارة الطائرة وقيادتها وطاقمها في وضع حسن؟ هل هذا أول يومهم أو نهايته؟ وهل من حقي الاطلاع على تقرير فني عنها؟ وهل باستطاعتي استيعابه؟ وهل من المنطق أن أركب طائرة أجهل الكثير عنها؟ وما مدى حقي في حصولي على ما يطمئنني أسوة بحقوق المريض قبل بداية علاجه؟ ولم يقطع استرسالي في توهماتي وتهويماتي إلا مجيء ابني مهند، ورغبته في الاطلالة من النافذة التي بجانبي.

تناولنا طعام الإفطار في الطائرة، ولم أتذكر أني مريض، ولي أدوية، إلا حينما حضر

الابن محمد ومعه «علبة الحبوب» وفيها ما يخص سبعة أيام كل يوم في مكانه المخصص، فتناولت ما هو معين مع الفطور، ورأيت أنه من الأهمية أن يخطط المسافر المريض لسفره، وأن يهتم بأدويته، وقد أحسنت أم موسى في هذا الأمر فأحضرت ما أحتاجه في هذه الرحلة من الأدوية، وزادت عليها من باب الحذر، ووضعت أم موسى الأدوية في حقيبتها اليدوية كاحتياط ثاني، ومن لديهم أمراض قوية أو خطيرة فعليهم - كما أعلم - إشعار طاقم الملاحين في الطائرة، ولهم استمارة خاصة بكل مريض عليهم تعبئتها، ومن يحتاج عربية متحركة يقوم المطار بتأمينها، والمطار يهيئ سيارة طبية في الاستقبال عند الحاجة.

التوجه إلى بيرولا وبانتوتا

وصلنا مطار سريلانكا بعد خمس ساعات من الطيران، وبُعد أفقي من الرياض يقدر بـ٤٠٣٠كم، والتقينا في صالة المطار مصادفة بفضيلة الشيخ الدكتور سلمان العودة، والأخ خالد القفاري، وقد أنهوا إجراءات مغادرة سريلانكا، والتوجه إلى الرياض على الطائرة السعودية التي جاءت بنا، وكان السلام مقتضبا نظرا لانشغالهم وانشغالنا، بعد ذلك أنهينا إجراءات الدخول، وحولنا (٥٠٠) دولار أمريكي إلى روبية سريلانكية، وكان سعر الدولار الواحد١٣٠روبية، وامتطينا حافلة كانت في انتظارنا متجهين إلى (بيرولا)؛ من أجل السكن في فندق (أيدن) لمدة (٣) أيام، وتعتبر المدينة بلدة صغيرة إلا أنها جميلة، ونسبة المسلمين فيها تصل إلى ٣٠٪، وهم أغنياء ومتمكنون، ويظن بعض الباحثين أنها الميناء الأول الذي دخل أول المسلمين من خلاله سريلانكا، وتكاد تكون مدينة إسلامية.

أما عائلة البشر فقد تركناهم في المطار يبحثون عن حجوزات فندقية، تيسر لهم الالتقاء بنا بعدما عرفوا كامل برنامجنا، حيث جاءوا بدون حجوزات فندقية مسبقة؛ بسبب مفاجئة قرار الرحلة، وتأخُر إشعار مكتب الطيران السعودي في وجود كراسي شاغرة لهم.

الفندق في (بيرولا) واسع، وتلمس الاحترام والتقدير من جميع العاملين فيه لكل الساكنين، وكأنهم اعتادوا وتعلموا فن إرضائهم على اختلاف لغاتهم وثقافتهم وألوانهم ومعتقداتهم وأهدافهم.

وبقينا في الفندق نتجول في داخله، ونكتشف إمكانياته وحدوده، ونستفيد من خدماته، ونحوم حول حماه دون التوغل بالمدينة، حتى يوم الجمعة، حينما قررت مع الابن موسى أن نصلي الجمعة في أحد مساجدها، ونطّلع على أحوال المسلمين فيها، فاستقلينا (تكتك)، وهو دباب يقوم بمهمة التاكسي، يسير على ثلاث عجلات، ويحمل ثلاثة أشخاص، ليحملنا إلى

(مسجد جامع) قريب، فأدى الأمانة، وقام بالمهمة، وتلقينا ونحن في معيته زخات متواضعة من المطر اللذيذ على النفس.

دخلنا بعد السلام باليد على بعض المسلمين المتواجدين أمام الباب الكبير، ثم الباب الداخلي، ووجدنا أسارير الرضا والترحيب بادية على وجوه الجميع، وهم لا يعرفوننا ولا نعرفهم، ولكن نلتقي جميعا في دائرة دين يقدر العلاقات الاجتماعية، ويدعو إلى الأخوة والتعاون، ويلغي جميع الفروقات إلا فارق التقوى، ومنه ولدت هذه الأسارير والفرحة بيننا، فبادلناهم المشاعر، ووزعنا على القليل منهم أكياس صغيرة من التمر، وكتيبات باللغة التاميلية والسنهالية، أحضرناها لهذه الغاية.

أدينا سنة تحية المسجد (ركعتان)، وتلفت أبحث عن قرآن أقرأ فيه سورة الكهف إلا أنني لم أجد، والمسلمون في المسجد لا يقرؤون، فتذكرت أن في الحقيبة التي نحملها عدد من نسخ القرآن الكريم باللغة العربية، مع معانيه بالتاميلية، فقمت لأخذ نسخة منها، إلا أن الإمام دخل والمؤذن رفع الأذان الثاني، نظرت إلى الإمام فاعتقدت أنه عربي، وأنه من الإمارات العربية لما ظهر من ملامحه، ولما يلبس من ملابس، إلا أن بداية الخطبة وما فيها من لكنة أعجمية، ثم انتقاله من اللغة العربية إلى اللغة التاميلية أكدت - بدون تردد - أنه سريلانكي، قد تعلم في بلاد العرب.

بعد الصلاة والتسبيح والتهليل قمت مع الابن موسى للسلام على الإمام، والتعرف عليه، وتحلق حولنا مجموعة من إخواننا السريلانكيين، واتضح أثناء الحديث وبعده أنهم من أعيان الحارة، ومن حملة الهم الإسلامي، ووجدنا في الإمام، واسمه (محمد خير البشر)، طلاقة باللغة العربية، ومعرفة بأحوال المسلمين، وأخبرنا عن بعض جمعياتهم ومدارسهم، ومساجدهم وأحوالهم العامة، وعلاقات بعضهم ببعض وبالحكومة، وعرفناه بأنفسنا، وجنسيتنا، والفندق الذي نقيم فيه، وعرضنا عليه رغبتنا في زيارة بعضها، فرحب وأيد، وحدد يوم غد السبت لبداية الخطوات العملية الأولى للزيارات، وامتد الحديث إلى سبب ضعف التمدد الإسلامي في الجزيرة، وكيف تكون نسبة المسلمين فيها ١٠٪؟ رغم أنهم وصلوا إليها في القرن الأول، بينما دول أصبحت إسلامية في فترة متأخرة وزمن أقصر، كماليزيا وإندونيسيا، فتلملمت الإجابات المشتركة من قبل المجموعة حول الأسباب التالية:

١- إن المسلمين في الهند وسيريلانكا يميلون إلى المحافظة على دينهم دون الدعوة إليه، وكأنهم في حالة دفاع لا هجوم، فهم أقوياء في ذاتهم، ضعفاء أمام الآخرين.

٢- أن لغة المسلمين في سريلانكا اللغة التاميلية، والمتحدثون بها قلة، والنظرة إليها دونية، إضافة إلى أن الكثير من المتحدثين بها من (الهندوس) وهم متشددون في الانتماء إليها.

٣- إن الاستعمار الهولندي ومن بعده البريطاني وخلال مئات السنوات كان في رهبة من الإسلام والمسلمين، وخوف متواصل من الجهاد والخلافة، فحاول ونجح كما هو الحال اليوم في موقفهم من الإرهاب والأصولية الإسلامية - في تقزيم المسلمين وفي تشويه الإسلام ابتداءً من حصارهم وانتهاء بقتلهم.

٤- تمحور التعليم لدى المسلمين في سريلانكا ومنذ مئات السنين حول العلوم الإسلامية الأخروية، دون العلوم الدنيوية، فأصبح تأثيرهم على أرض الواقع محدودا ودورهم هامشيا.

٥- أن الديانتين البوذية والهندوسية فيهما عنصرية أغلقتهم عن الانفتاح، وكأن المنتمين إليهما ينتمون إلى قبيلتين، وليس إلى دينين، وهذا أصّل الانتماء، ووضع سياجات اجتماعية تحول دون خروج فرد منها عنها إلا ما قل.

٦- السنهاليون - البوذيون - ينظرون إلى المسلمين في سريلانكا بشيء من القلق، غير المعلن للأسباب التالية:

أ- جذور المسلمين التجارية، وقدرتهم في هذا المضمار خلقت فيهم بعض الحسد والغيرة وإن كانت خفيفة.

ب- الإحساس بخطر نموهم السكاني، حيث يعتقد السنهاليون أن المسلمين سوف يكون لهم ثقلهم الديمغرافي المتميز والمؤثر بعد عشرات السنوات، وستكون خطراً عليهم.

ج- يختزن السنهاليون مشاعر في أعماقهم تؤكد لهم أنهم أبناء الجزيرة وأن المسلمين وافدون وليسوا أصلاً فيها.

د- أن لغة المسلمين التاميلية جعلتهم في صفوف التاميل - من خلال الشعور العام - رغم معاناتهم من نمور التاميل، واختلافهم عنهم.

خرجنا من المسجد الجامع وسرنا على الأقدام في معية الأخ/ محمد شكري عبد القادر، حيث وصلنا إلى مسجد آخر في الطريق، وعلى جانبه مدرسة (مؤيد الإسلام لتحفيظ القرآن الكريم)، فدخلنا إليه، ومنه ولجنا إليها، وقابلنا المسؤول عنها وبعض الطلبة فيها،

ففرحوا وفرحنا، وشكرناهم وشكرونا، ثم واصلنا المسير حتى وصل محمد شكري إلى بيته، فدعانا للدخول، فاستجبنا، وقابلنا والده، وتحدثنا، وقدم كأسين من العصير، ثم خرجنا، فودعناه واستقلّينا (تكتك) متجهين إلى الفندق.

في صباح يوم السبت جاء السيد محمد خير البشر لنصطحبه إلى (الجامعة النظيمية الإسلامية)، التي تم تأسيسها عام ١٩٧٣م، على يد الشيخ الحاج/ محمد نظيم بن محمد إسماعيل (ت ٢٠٠٤م)، زعيم تجار الأحجار الكريمة والجواهر، وقد قدم - رحمه الله - الأرض الواسعة، وتحمّل تكاليف البناء، وأنشأ مسجدًا، وقاعة محاضرات متميزة، وتولى الإدارة بعده الشيخ/ محمد علي محمد شكري، مع وجود أعضاء مجلس الإدارة وتشمل الجامعة:

١- مركز البحوث والنشر.

٢- المكتبة المركزية.

٣- معهد المعلومات التكنولوجية.

٤- أكاديمية التنمية والبحوث والتدريب.

في عصر يوم الجمعة اتجهتُ إلى فناء فندق (أيدن)، ووضعت جسمي على كرسي أبيض متعرج الظهر، محدودب الرقبة، ووجهي إلى مسبح الأطفال، و مهند في منتهى السعادة فيه، وبالقرب منه طفل غربي ممسكا بكرة، وينقلها من يده اليسرى إلى اليمنى، وينظر إلى ابني وكأنه يمهد لخطوات اللعب معه، إلا أن مهندًا في رهبة منه، انطلقت الكرة لمهند أو أطلقها، نظر إليها ثم أعرض عنها، فأمرته أن يعيد الكرة لصاحبها وأن يلعب معه، أعادها وتردد في الثانية، إلا أن الطفل أعادها إليه ثم بدأ التقارب بينهما، وأصله مجيء طفل عربي دخل معهما، فانكمش الغربي قليلا ثم ابتعد، وبعد ربع ساعة أخبرت ابني بأني سوف أذهب الآن إلى الغرفة ففضل مصاحبتي، فخرج.

في ظهر يوم السبت انتقل أفراد الرحلة إلى مدينة (بينتوتا) ولا يفصلها عن مدينة (بيرولا) إلا شارع لا يعرفه إلاّ من يسكن بهما! والكثير من السائحين تأخذهم الدهشة من حال مدينتين في مدينة واحدة، فالأخيرة تشبه الأولى بل بينهما تطابق في جمال الشواطئ ونقائها، ووحدة الجو، والمناظر الطبيعية، ويشتركان في قمة الجمال الاستوائي، وملامستهما لمياه المحيط الهندي، وما فيه من رياضة بحرية كالتزحلق على الماء، وركوب القوارب، والتحليق بالمناظير، والفندق الذي اختارته (مها) لأفراد الرحلة هو (فندق التاج) ومن الصعوبة على أمثالي تحديد

الفروق بينه وبين (فندق إيدن) في (بيرولا)، ولم أشغل نفسي بالمقارنة بينهما، بينما أفراد الرحلة عددوا خصائص هذا وذاك، وإن كنت لم أرها فلا يعني ذلك أنها غير موجودة، ولله في خلقه شؤون.

التيقنا بفرح مع عائلة منصور البشر المقيمة في الفندق منذ ثلاثة أيام، وتحولت المسارات إلى مسار واحد، والبرامج إلى برنامج، وأضافوا إلى جمال الأجواء والطبيعة روعة الألفة، وتأكد للجميع أن السياحة في سريلانكا تناسب المجموعات من العائلات الخليجية، وتصب في دائرة سعادتهم.

استفردت بعد المغرب بالغرفتين في فندق (التاج)، حيث أسرتي وأسرة «البشر» جلسوا جلسة نجدية في فناء الفندق الخارجي، ما بين المسبحين، وآنسني الهدوء ملف أخذت بالاطلاع عليه، عنوانه (الوطن العربي بين ظلم الخارج وفساد الداخل) وما هي إلا لحظات حتى بعثرت معلومات الملف أناستي، وحولته إلى ألم، وبدأت أمزق نفسي بالأسئلة: ما هو الحل؟ ومتى؟ وما نصيبي من الجريمة؟ كيف نسمو؟ واستيقظت من قلقي على أصوات دخول الفوج الأول من الأسرة، وتحدثوا - بدون مقدمات - عن لحظات سعادتهم، وعن امرأة بريداوية انضمت إلى جلستهم المغربية، تسألهم عن الأماكن السياحية الجيدة؟ والمدن السريلانكية الجديرة بالزيارة؟ وأفادتهم أنها وزوجها جاءوا منذ يومين بدون دليل أو خريطة أو خطة! وأنها أخذت أوراقاً منا واستعارت قلما، وكتبت ما أمليناه عليها، ولم ينزعها من انسجامها معنا إلا صوت زوجها وإلحاحه يدعوها إليه، فأخبرت الأسرتين أن موعد العشاء لهما تجاوز وقته، فاعتذرت وودعت.

تذكرت لقائي صباح هذا اليوم، وعلى طاولات الفطور برجل من «بريدة» مع زوجته، ووصول عدد الأسر البريداوية الزائرة لسيريلانكا خمسة نتماس معها ونتقطع في دروب الفنادق، غير مجموعات سبقتنا وأخرى سوف تأتي وثالثة في جهات أخرى منها، أخذت بتدبر خصائص مجتمع مدينتي، إمكانياته المالية، مغامراته، انفتاحه، محبته للأسفار، ولمست أن من أهم خصائص مجتمع مدينة - بريدة: تجذر الرغبة لديه بالترحال، والشوق إلى السفر، وكأن الرحلات جزء أساسي من تكوينه، وأن أبناء بريدة لا يعانون وجيف السفر، ولا يهابون مفاصله ومنعطفاته، ولا يملون من تكراره وطوله ومشقته، ففي تاريخ «العقيلات» قصص الصبر والمواجهة، والمعاناة والعناد، والنجاح والفشل، وفي تبوء ابن من أبنائهم لقب (عميد الرحالين العالمين) وهو معالي الشيخ محمد العبودي خير دليل، وأفضل تأكيد، إضافة إلى آخرين لم

يسجلوا رحلاتهم، ولكنها تُروى للأبناء والأحفاد كرحلة عبد الله الخليفة إلى أمريكا، ورحلات الشيخ محمد العرفج إلى العديد من الدول، ولا أعلم - حتى الآن - أن بريدويا وصل مرحلة الشيخوخة ولم يسافر، وهذا ما جعل ثقافة الرحلات متغلغلة فيه، فانعكست على معرفته بأحوال العالم، ومتابعته للأخبار، وأعتقد أن مدينة بريدة بزت جميع مدن المملكة العربية السعودية بهذا الأمر، بل كتب أبناؤها عن الصين أكثرمما كتبته المدن السعودية مجتمعة، ومن كتبهم المطبوعة عن الصين، والغالب منها نتيجة زيارة.

١- داخل أسوار الصين.

٢- العودة إلى الصين.

٣- الصين يأجوج ومأجوج.. عالم مجهول.

٤- فوق سقف الصين.

٥- في مهد الترك.

٦- التأثيرات الحضارية المتبادلة بين المسلمين والصين.

٧- المسلمون في الصين.

ويدعم تصوراتي الواقعية وجود بقية مستقرة منذ عشرات السنوات من الأسر البريداوية في العراق وسورية والأردن وفلسطين، ومصر والسودان، والهند وأمريكا وبريطانيا.

الإنسان يشده شوق إلى ماضيه، ومدينته، وحبيبه الأول، وإلى ذكريات الأمس وإن كانت قاسية، وهذا سرّ ارتباط المواطن الخليجي بالكبسة، والقهوة والثوب والتمر والمركا والشوي، وهذا أيضا المحرك الخفي الذي دفع أم موسى بإحضار (موقد كهربائي)، وكيس من الرز البشاوري (٥) كيلو غرام مع كمية متواضعة من (الجريش)؛ ليكونا قاسمًا مشتركا بيننا وبين بلادنا في رحلتنا السياحية، وفاصلا منعشا بين عدة وجبات من الفندق وخارجه، وتزداد أهمية شوربة الجريش ولذته حينما تتحول إلى المركز الثاني بعد التمر على الفطور في رمضان، الذي تمتد رحلتنا إلى أربعة أيام منه.

في فندق (إيدن) أعدت أم موسى كبسة رائعة، لم تحتج في إعدادها إلا إلى قِدر متوسط، وملعقة وصحن وسكين، وما أجمل البساطة حينما تعانق الخبرة، وتم استكمال المشروع الرائع

" كبسة سعودية " في سريلانكا بآلات قليلة، وبحنكة الهاوي الذكي، وقد تسللت رائحة (رزّنا) اللذيذ إلى الغرف المجاورة وإلى الممر المحيط بالغرفتين، مما جعل البنات - أثناء رجوعهن من حديقة الفندق والشاطئ - يتحدثن بصوت مرتفع وفرحة عارمة ومن عند الباب وبالقرب منه عن وجود كبسة مميزة بالقرب منّا، وتضاعفت فرحتهن حينما اكتشفن أن غرفتهن تحتضن القدر الذي وزع الروائح الجميلة.

الوصول إلى نورإيليا

لعل اسمها (النور العالي) أو (نورعلي)، تم تحريفها بعامل الزمن والضعف الإسلامي في ظل الاستعمار، ويدهشك في المدينة أن بيوتها تتناثر على سفوح جبالها، وقد بنيت على النمط الغربي البريطاني، فهي تذكرك بالاستعمار، وتنعّمه في العالم الثالث، واستنزاف ثرواته، واستعباده لأبناء البلاد الأصليين، وتسخيرهم لخدمته والترفيه عنه.

انطلقت الأسرتان (اليحيى والبشر) من (بنتوتا) على حافلة تستوعب «٥٠» راكبًا، بينما أفراد الرحلة «١٧» راكبا، فتقاسمنا الحافلة للنساء مؤخرتها وللرجال والأبناء مقدمتها، وانطلقت في تمام الساعة الثانية والنصف ظهرًا متجهة إلى (نورإليا)، وكانت الترتيبات الأولية أن الحافلة صغيرة، ومناسبة للأسرتين، ووداع (بنتوتا) يكون في الساعة «١٢» ظهرا؛ لكي نتمتع بمناظر الطريق، ونقف أمام شلالاته وبعض منعطفاته قبل غروب الشمس، إلا أن المتعهد بتأمين وسيلة النقل تعرض لإرباكات تنظيمية، دفعته إلى تأخير مسيرتنا ساعة، وتأمين وسيلة نقل أكبر من حاجتنا، وهذا ما جعلنا نفقد متعة الطريق في ثلثه الأخير؛ حيث خيم الظلام، وتقلصت مساحات الرؤية، بعد ساعتين من السير البطيء؛ نتيجة حجم الحافلة ومنعطفات الطريق وضموره.

توقفنا في استراحة جانبية من أجل أداء صلاتي الظهر والعصر، والاسترخاء النفسي والتحرك الجسمي، وأدهشنا خضرة الأرض والجبال، وكثرة الأشجار العالية، والنهر الذي يحف بالاستراحة، واللطف من العاملين فيها، ثم واصلنا السير إلى (نورإليا)، ولم تكتحل عيوننا بضواحيها إلا في تمام الساعة الثامنة والربع ليلًا، ويبقى مشوار آخر، حيث التوجه إلى الفندق (تي فاكتوري) خارج المدينة من الجهة المقابلة.

المدينة جميلة جدا، وخضراء، ودرجة الحرارة لا تتجاوز ١٠ درجات، ومن هدوئها وقلة سكانها تتوقف الأعمال ليلا فيها، وتنكمش الأنوار، ويصعب الخروج من محيط فندقها (تي فاكتوري) بعد حلول الظلام، مع ملاحظة أنه في أقصى هوامش المدينة.

كان الوصول إليها بعد صلاة العشاء يوم الثلاثاء الموافق ١١/٨/٢٠٠٩م - ٢٠/ ٨/ ١٤٣٠، واتجهنا إلى فندقها، وعانينا من بعض المشاكل تتلخص في كثرتنا، وعدم وجود حجز مسبق لأفراد من أسرتي، ولكامل عائلة منصور البشر، استطعنا تجاوزها بالحلول التالية:

١- دفع أجرة بقاء مهند ومحمد معنا في الفندق ومقدارها ألف روبية لليوم الواحد.

٢- انضمام بعض الأبناء إلى عائلة البشر في بحثهم عن مكان مناسب في المدينة.

الفندق بعيد عن المدينة، والسيارة التي بين أيدينا لا تستطيع ولوج الدرب المؤدي إليه؛ لأنه ضيق، ويعاني من الشيخوخة المتقدمة! مما اضطرنا إلى استدعاء حافلة الفندق لتحملنا، وآلمنا فيه معاملة العاملين في الفندق، فلم تكن على ما يرام، وكأن لهم موقفا مسبقا تجاه المسلمين أو العرب، أوشى آخر يشبه ذلك، يؤكده تلك النظرة القاسية، والمتابعة المستمرة لحركة العرب الساكنين فيه، تشبه إلى حد كبير الأساليب الأمنية، إلا أنه أضيف إليها الكثير من العلنية الفجة، لمسناها وأكدها بعض الساكنين من العرب، والسعوديين خاصة.

المدينة جميلة جدًا، ويميزها ارتفاعها الشاهق، وجوها الشتوي في فصل الصيف، والخضرة التي تغطى كل بقعة، باستثناء ما أفسده الإنسان.

والميزة الأخرى والمهمة أنها مدينة الشاي السريلانكي، ففيها المزارع والمصانع، وأشجار الشاي المعمرة، المستديمة الخضرة، تحيط بك من جميع الجهات الست - الشمال والجنوب والشرق والغرب والأسفل والأعلى- ومعلوماتنا عن الشاي مع الأسف لا تتجاوز رفوف محلات التموينات الغذائية، ولم نعلم حجم المنافسة فيه، ولا الصراع بين الشايين الأسود والأخضر، ولم ندرك أن وصوله إلينا يمر بمراحل كثيرة، التربة والجو والبذر، وسقيه ونموه وقطفه ونقله، وتيبيسه وتخميره وتجفيفه، وفرزه وتذوقه وتعبئته وتسويقه، وما بين تلك المراحل من دراسات وتعريفات وجهود آلية وبشرية، ومن يريد التخصص فيه عليه أن يحصل على دورات خاصة في كيفية معرفة أنواع الشاي وألوانه، وطعمه، وتذوقه، أو دورات في آفاته وزراعته، أو دورات في طقوس إعداده وتقديمه.

ويقدر ما يجنيه الجاني يوميا من قطوف باليد ما بين ١٨ إلى ٢٠ كيلو غرام يستخلص منها خمس كيلو غرامات من الشاي الجاهز للاستعمال تقريباً، وأنواع الشاي تتجاوز (٧٠) نوعا، وأفضله الأسود، ومن يتذوق الشاي ويحيط بأسراره يدرك أن للصبح نوعا، وللعصر نوعا، ولليل نوعا آخر، ويعرف مصدره، وهل هو من أعلى الجبال أو أوسطها، وفوائده تتغير بتغير طرق إعداده، وقد يكون دواءً في بعض الحالات، أما امتداده التاريخي فهو طويل جدا، يعود إلى عام ٢٧٠٠ ق م، ولكنه لم يصل إلى أوروبا إلا في عام ١٥٦٠م، عن طريق البرتغاليين، وبداية اكتشافه في الصين، ومازالت الأولى في إنتاجه، وبعدها سريلانكا ثم كينيا يليها الهند وجنوب إفريقيا.

والشاي في هذا العصر يعاني كثرة الطلب، ونقصا في الإنتاج؛ بسبب قلة الأمطار،

مما أثر في ارتفاع أسعاره، وقد انخفض إنتاج سيرلنكا لهذا العام ٢٠٠٩م إلى ٢٤٪، وأغلب إنتاجها وأطيبه يذهب إلى اليابان، وروسيا، والدول الخليجية.

رأينا مزارع الشاي، واطلعنا على صورة مصغرة لمراحل إنتاجه في فندق (تي. فاكتوري)، ثم زرنا المصنع، وشرحت أخت متخصصة في تعريف الزوار بزراعة الشاي، وأهم خطواتهم في إنتاجه وتصديره، وقدموا نماذج منه، وشربنا واشترينا كمية لا بأس بها، كلفت أسرة البشر مبلغ (١٥,٨٥٠) روبية، وكلفتنا (١١,١٠٠) روبية؛ لتكون هدايا للمقربين من الأحباب والأقارب.

يدير زراعة الشاي وصناعته عدد من الشركات، ومنها شركة (ماوودز) لإنتاج شاي (ماكوودز)، تأسست قبل ١٦٥ سنة، وتستحلب (٢٧) ألف فدان في أنحاء سريلانكا، موزعة على (١٧) مزرعة، وتعتبر هذه الشركة أول شركة أنتجت الشاي الأسود السيريلانكي، وأحسستُ أثناء الشروح المتعددة لمسيرة ورقة الشاي من الشجرة إلى الكوب أن تكلفتها تتجاوز ثمنها، إلا الأنواع المرتفعة السعر، أما مادون ذلك فربما أنها دغثت بنسب عالية من الإصباغ والنكهات الملطفة والمواد الحافظة، حفظنا الله من الغش والتدليس سواء منّا أو علينا.

في صباح اليوم الثاني جاء منصور البشر إلى مقرنا في فندق (تي فاكتوري)، وأخبرنا عن معاناته منذ مساء الأمس حتى صباح هذا اليوم، وقد تمخضت عن استئجاره "فلة" من دورين في وسط المدينة، وبالقرب من سوقها المركزي، وحديقتها القديمة الكبيرة، وقد تجمعت أسباب التأييد والموافقة من خلال عدة معطيات وحوافز، لذا تمت الموافقة دون أن تمر على جسور التفكير أو دوائر السلبيات والايجابيات أو سنة الاستشارة والاستخارة، وكان الهم الأكبر فك الروابط بيننا وبين الفندق، والتوجه إلى السكن الجديد، الذي وجدنا فيه حياتنا الطبيعية التقليدية، فأصبحنا نأكل كما اعتدنا، ونتمدد ونتحدث ونتحرك بتلقائية جميلة مريحة هادئة، حتى وصلت بنا الحال إلى شراء "تيس" من أغنامهم وذكيناه وقطّعناه في فناء "الفلة"، وعملنا منه "حميسة" لذيذة، وبقيته وزعناه على اليومين الباقيين من إقامتنا في (نورإليا)

في يوم الخميس الموافق ١٤٣٠/٨/٢٢هـ - ٢٠٠٩/٨/١٣م وما بين صلاتي المغرب والعشاء استقليت "تكتك"، متجها إلى الجامع الكبير، فاكتشفت أنه قريب جدا، ولا يستحق أي وسيلة من وسائل النقل، ولكن هو الجهل ليس إلا، تجولت بما يحيط به من أسواق، ودخلت (سوبر ماركت) معاصر، وانتعشت نفسي ببقية نكهة أمطار نزلت قبل غروب الشمس.

بعد صلاة العشاء في مسجد الجامع الكبير، وهو الوحيد المخصص لصلاة الجمعة في

مدينة "نورايليا"، قابلت إمام المسجد الشيخ أبو طيب محي الدين، الذي تولى الإمامة فيه منذ ثمانية عشر شهرًا، ودار الحديث حول المسجد وعمره الذي تجاوز (١٢٠ سنة)، وعن مساحته التي قدرها ب (٢) دنم، وأنه يتغذى على التبرعات الداخلية اليسيرة ولكنها مباركة.

واستفسرت من الإمام عن أهداف الأعمال المعمارية في المسجد، فأطلعني على صور مستقبلية للمسجد، توحي المخططات إلى توجهه ليكون ثلاث طوابق، بإدغام الأول بالجديد، وتهيئته لاستيعاب أعداد أكبر، وليشمل مكانا لمدرسة دينية مع مكتبة ومصلى للنساء.

والمدينة تحتضن (١٥٠٠) أسرة مسلمة، وفيها سبعة مساجد للصلوات الخمس، وما يقارب من عشر مدارس إسلامية من أهمها:

١- مدارس دار الهدى

٢- مدرسة رياض الجنة

وأخبرنا إمام المسجد أن اللجنة المشرفة على بناء المسجد مشكّلة من

١- - الحاج / محمد سنون رئيسا

٢- - الحاج / مطلب سكرتيرا

٣- - الحاج / محمد فضل مسؤولا ماليا

وأفاد أنهم تقدموا إلى عدد من السفارات الإسلامية ومنها مصر والسعودية وإيران والإمارات العربية والكويت بطلب الدعم لبناء المسجد إلا أنهم لم يتلقوا حتى الآن شيئا.

وأعتقد أن طلبهم ليس موجها إلى أحد بعينه، ففقدت الخصوصية والهدف، ويظهر أنهم رفعوها وفي مقدمة خطابهم (إلى الإخوان العرب المحبين)، وهذا التوجه لا يُعترف به في الأعمال الرسمية، وخاصة الدبلوماسية، فإلى الله المشتكى من كلا الطرفين.

وعمارة المسجد - حسب زعم الإمام - تكلف مليوني روبية، استطاعوا تأمين نصفها، وينتظرون النصف الثاني، فرج الله كربتهم.

عدتُ يوم الجمعة إلى المسجد نفسه لأداء صلاة الجمعة فيه، والالتقاء بأكبر عدد من المسلمين، وتعمدت أن ألبس الملابس السعودية (ثوب، شماغ، عقال) كي أذكرهم بأن لهم إخوانا من خارج بلادهم، وأجذب بعض المسلمين للحديث معي، وحملت معي نسخا من معاني

القرآن الكريم باللغة التاميلية، وأشرطة (سي. دي) بصوت الشيخ / علي الحذيفي، إضافة إلى عبوتين من البلاستيك الخفيف، فيهما تمر لإهدائهما للإمام والمؤذن؛ لعلها تكون خيرا لي ولهم في مغارب أيام رمضان المبارك.

تحدثنا مع البعض، وابتسم بعضهم لنا، وابتسمنا لهم، ووزعنا ما معنا وقابلنا الإمام والمؤذن، ثم ودعناهم عائدين إلى البيت.

أعجب أفراد الرحلة ببحيرة (قورقيا)، وهي حقا عجيبة! فعلى أعلى مكان وبين جبال مرتفعة تتمدد مياه صافية عذبة! هي غذاء للعين والنبات والجو، وعلى وجه الإجمال لا يوجد في المدينة خدمات سياحية معاصرة، أو أماكن منظمة هادئة، إلا ما جاء بعامل التلقائية وهي كثيرة، أما القوارب المخصصة للسواح و "تلي فريك" و "المطاعم العالمية" و "التغطية الإعلامية السياحية" فالمدينة تخلو منها، رغم أن السياحة - على ما أظن- على مدار العام، وتستهوى جميع الجنسيات!.

وأعجب أفراد الرحلة أيضًا بالسوق التجاري، خاصة إذا ما قورنت أسعارها بالمملكة العربية السعودية، والتخفيضات الخادعة حينما يحذف البائع السريلانكي من السعر مئة أو مائتين، فيحس المشترى أنه أمام إغراء لا يقاوم، أو حينما يقول المشترى للبائع في "جاكيت": إنه يريده بـ(٥٠٠) روبية بدل (٧٠٠) روبية. فتأتي الموافقة بعد مقاومة يسيرة، ولعل أصحاب المحلات أدركوا - بعامل الخبرة- هذا الأسلوب، وأخذوا في تطبيقه، فمن الصعوبة على الكثيرين من السائحين أن ينسوا ما اعتادوا عليه من أسعار في بلادهم، ويتعاملوا بتجرد مع تسعيرات جديدة طارئة دون استدعاء ما اكتنزوه في ذاكرتهم، وتمت برمجة تفكيرهم عليه.

حينما تتسع دائرة التدبر في السفر، والتأمل فيه، ونتجاوز شهواتنا الخاصة، وتلذذنا بما نملك وبما نستطيع، ونستعرض حالة الشعب الذي ذهبنا إليه، وخدماته للسائحين، ندرك أننا نعيش في قالبين مختلفين، يؤلمني أننا لم نفكر فيه، أو نتفاعل معه بحجم تقديرنا لأرضه وإنتاجه وأجوائه المعتدلة، لم نحس أو نسبر حجم معاناته، حرمانه، ضعفه، خوفه، أحزانه، ولم نقرأ ملامح وجهه، أو نتلمس مصدر عرقه ودموعه، لم تنقبض أساريرنا أمام جوعه وخوفه وجلاده، بل ذهبنا إلى أبعد من ذلك، قاومنا الاندماج فيه، مسكين هذا الشعب المتألم، وأكثر منه مسكنة ذلك السائح القاسي؛ إنه لم يمنحه سطرًا في متن رحلته كما فعل أجداده، ولم يتصدق عليهم بهامش مختزل كما فعل أباؤه، ويبقى - بعد ذلك وقبله - أن الكتابة عن الرحلات جاءت بحجم الرحلات نفسها، وطبيعة أصحابها، فيها الألم واللذة، والدمعة والبسمة، والأسطورة والحقيقة، وسطحيات البشر وأعماقهم، والطرائف والقصص، والعادات الباقية والبائدة، والثقافة والأدباء، وكل إناء بما فيه ينضح.

حدث في (نور إليا) مشهد هامشي، ولكنه جدير بالذكر، لما فيه من قلق، ولما يحمل من فجوات مؤملة يحول دون التقاء الحضارات ونجاح الحوار في صورته الشعبية المتواضعة، ويؤكد غياب العدالة في عصر الحضارة المادية الرأسمالية، ودور الإعلام في غسل الأدمغة وتهييج الرأي العام.

هذا المشهد وإن كان صغيرا وتافها يتلخص في تقديم أحد النزلاء الغربيين في فندق (تي. فاكتوري) شكوى - حتى الآن هي شفهية - يزعم فيها أن إحدى النساء المنتمية لرحلتنا أثناء أدائهن صلاة الظهر والعصر جمعا وقصرا في الساحة الخارجية للفندق مدت - بلغة الإشارة- يدها، وإشارة إلى رقبتها بأنها ستذبح المرافقة له، وتلقت التهديد أثناء إطلالتها من نافذة غرفتها في الدور الرابع، ولا أعلم هل هي زوجته أم حبيبته أم ....؟ وهذا لن يغير شيئا من القصة، مع ملاحظة أن الإشارة لن تكون واضحة نتيجة المسافة بينهما، ومع التذكير أن أغلب النساء المرافقات لنا يحاولن في جميع خطوات الرحلة السابقة واللاحقة إن شاء الله التودد للنساء إذا جمعهن طريق أو مكان، وللغربيات خاصة؛ من أجل إزالة ما في نفوسهن من وحشة، ودعوتهن - إن أمكن - للإسلام، كما أن لديهن مجموعة من الكتب التعريفية ومعاني القرآن باللغة الإنجليزية والسريلانكية لهذا الهدف.

الشكوى لا أعلم عن محركها شيئا، ربما يكون الفندق أو أن الرجل ومن معه استولت عليهما الرهبة من الإسلام والمسلمين، خاصة أن نساءنا متحجبات، والحجاب الكامل يقلقهم، بل يفقدهم توازنهم؛ لماله من تعابير قوية عن الهوية، وربما يكون سلوكه نتيجة الحرب الإعلامية المكثفة والمتواصلة والمدعومة بالكثير من الشواهد المفبركة والتي بلغت حدتها وقسوتها يوم ١١ سبتمبر، ثم أخذت بالنمو فيما بعد في كل لحظة وشبر من أرجاء المعمورة، كفانا الله شرهم، وكشف للعالمين كيدهم.

وربما أن الرجل من أولئك الذين يصنعون عمليات التشويه، ويستغلون الحركة والغمزة والكلمة في توظيفها وتفسيرها؛ لخدمة حملتهم الإعلامية الشرسة ضد الإسلام والمسلمين، والتنفيس عما تكنه نفوسهم، وربما أنه من ضحايا عنصرية الرجل الأبيض، وقد تشبع بالأكاذيب وصدق الأخبار والصور المصنعة، وظلم وتمادى، قال الشاعر:

أسأت إليّ فاستوحشتَ مني ولو أحسنت لآنسك الجميل

ثم استسلم فشاهد ما لا أصل له، ولا وجود لفروعه.

والمقلق في الحادث حينما يحس المعاني منه أنه لا ظهر له، وأن اتهامه من عدوه سوف يجد عدم المبالاة من حكومته وإعلامها، أو التبرأ منه ومن حادثته، أو - وهذه قاصمة الظهر- أن

التهم والعقوبة تتضاعف حينما يكون في داره التي يجب أن يكون في آمن مكان يعيش فيه، وما ذلك لدى بعض الدول الإسلامية إلا نتيجة المبالغة في الأمن، أو إرضاء القوى الكبرى، أو الحفاظ على المكتسبات الخاصة على حساب العامة، وكل ذلك نتيجة غياب الحقوق والواجبات، واضمحلال العدالة، وتوظيف الإسلام دون الاستسلام له، قال ابن القرب:

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فلا عجباً إن سلمتك الأباعد

مدينة كاندي

توجهنا يوم السبت صباحا الموافق ١٤٣٠/٨/٢٤هـ، الموافق ٢٠٠٩/٨/١٥م إلى مدينة «كاندي» من «نورإليا» وتبعد عنها ٨٠ كم إلا أنها تأكل من الوقت أكثر من ثلاث ساعات، خاصة من قبل السائح الذي يفضل أن يقف عدة مرات في الطريق من أجل شلال متوسط، أو منظر يتجه إلى الانحدار بشكل قوي وجميل، وأرى أنه من الأفضل للسائح أن يودع (نور) في الصباح الباكر؛ ليستمتع بالمناظر الرائعة في الطريق، سواء كان متوجها إلى بنتوتا أو كاندي أو بيرولا، ومن الأفضل له أيضا أن لا يكون نزوله منها يومي السبت والأحد؛ لأنهما العطلة الرسمية، وربما بسببها يكون ازدحام على بعض المواقع والشلالات المتميزة الجميلة من قبل المواطنين السريلانكيين.

في طريقنا إلى «كاندي»، والحافلة تتلوى مع طريق منحدر بين الجبال، انطلق طفل يحمل الورود ليبيعها على السائحين، وتابع الحافلة عارضاً بضاعته، بل يسبقها أحياناً مستفيداً من ممرات مختزلة للمشاة، ومن حجم الحافلة الذي يعيق حركتها في مثل هذه الطرق، ومن الانحدار الشديد، أدهشنا إصراره، وسرعته، وحينما نفتقده في بعض المنعطفات يفاجئنا بانتظاره لنا فيما يليها، لفت انتباهنا، وأعجبنا به، وخشينا عليه فأوقفنا الحافلة وأعطيناه بعض النقود ولم نأخذ من «وروده» شيئاً بعدما حققنا هدفه، وأعطانا درساً مجانياً في الصبر والإصرار والتوجه إلى الهدف.

تحتل مدينة «كاندي» المرتبة الثانية بعد العاصمة، وكانت العاصمة في عهد حكم البوذيين، وهي لا تختلف كثيرا عن مدينة نوريليا إلا في الجو، ففيها شيء من الرطوبة مع الحرارة، وذكرتنا ببنتوتا وبيرولا، وتبقى بعد ذلك كل المواصفات الرائعة، الغابات والخضرة، والأنهار، والأمطار، فهي مدينة ملكية عريقة، وبجوانبها بحيرة (كاندي) المشهورة، وفيها أسواق تجمع ما بين الماضي والحاضر، وحديقة (البوتا نيكال)، والقصر الملكي القديم، وفي شهر أغسطس يقام فيها مهرجان مشهور ومتميز يسمى (إسالا بياهيرا) ميدانه أهم الشوارع، وفيها يرى السائح الألعاب النارية والفيلة والمزامير، رأينا جزءًا منه على شاشة التلفاز المحلي.

في (كاندي) زرنا مع أفراد الرحلتين - نساء ورجالا - المسجد الجامع الكبير، بعد جولة في السوق، ومع زخات المطر، واتجهت النساء إلى مصلاهن، واتجهنا إلى قلب المسجد، وتجولنا به، وقابلنا الإمام محمد إسحاق بن محمد يوسف، وتحدثنا إليه قبل حلول وقت صلاة المغرب عن أحوال المسلمين في المدينة، وأفادنا بأن عدد الجوامع فيها (سبعة)، ولا يخلو مسجد من حلقة تحفيظ القرآن الكريم، وأكد أنه لا يوجد شيعة ولا قديانيون، وللإسلام قبول لدى أصحاب

الأديان الأخرى، ويقدر عدد من يسلم شهريا منهم عشرة أشخاص، وأرى - والله أعلم - أن أكثر ما يغري أفراد الهندوس والبوذيين في الإسلام، وييسر لهم الإقبال عليه موقفه القوي والحاد من الطبقية المتغلغلة في الديانتين، خاصة تلك الطبقات الدنيا فيهما، والتي تعاني من الاحتقار والظلم والاستعباد، وللإحاطة يوجد في المدينة وبالقرب منها عدد من المؤسسات والمدارس الإسلامية من أهمها:

١- جمعية أنصار السنة المحمدية.

٢- معهد دار التوحيد السلفية.

٣- مركز النور لرعاية الأيتام.

٤- دار العلوم الفرقانية.

٥- الفرقانية لتربية البنات.

٦- الكلية العربية الحقانية.

٧- دار العلوم الجوهرية.

٨- دار العلوم الحليمية.

٩- جامعة دعوة الهدى.

١٠- الكلية العربية النعيمية.

وأثناء الحديث معه حان وقت صلاة المغرب، فانقطع الحديث على أمل مواصلته بعد الصلاة، أدينا الصلاة معهم، وبعدها انفرد أفراد الرحلتين لأداء صلاة العشاء قصرا بإمامة الابن موسى، ثم تحدثنا مع إمام المسجد قليلا وودعناه.

المسجد كبير، وبناؤه جديد وعمره مديد، إلا أن المصلين فيه قلة بالنسبة لحجمه، وهم أقل من القليل في صلاة الفجر؛ نظرا لوجوده في وسط سوق المدينة، وما يحيط به من محلات ومكاتب تجارية، وليس منازل وسكانا، ولكنه يكتظ بهم أثناء صلاة الجمعة.

خرجنا من فندق (شايا سيتاديل)، يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٠/٨/٢٨هـ، في الساعة الحادية عشرة والنصف، متجهين إلي فندق (امايا هيلز)، بمعية عائلة البشر، وعلى الحافلة

الكبيرة الواسعة الرفيعة، والتي يقضي الاتفاق مع أصحابها أن تكون في معيتنا حتى وصول عائلة منصور البشر إلى العاصمة (كولومبو)، مساء هذا اليوم، بأجرة يومية مقدارها (١٠٠ دولار) وكان البرنامج أن تحملنا إلى منتصف الطريق إلى الفندق الجديد، ثم تأتي "حافلة" الفندق لنستقلها إليه، وتنطلق عائلة البشر إلى العاصمة على الحافلة المستأجرة؛ تمهيداً لسفرهم إلى السعودية صباح يوم السبت، وربما يكون أول أيام رمضان.

كان الوداع بين الأسرتين لذيذًا ومؤلما؛ لما يكتنفه من علاقات وذكريات وآمال واسعة بلقاءات قادمة إن شاء الله، فالتواصل الأسري مؤكد، ومدينة (بريدة) تحتضن الجميع، وبرامج الزيارات والمقابلات يخترق الطرفين من خلال اجتماعات أسرة "المحيميد" القاسم المشترك بين الأسرتين، إضافة إلى مناسبات الأعياد والزواج والعزاء، متع الله الجميع بالعمر المديد والعمل الصالح.

وصلنا إلى "أمايا هيلز"، في تمام الساعة الواحدة والربع، والفندق متميز؛ لموقعة في رأس الجبل أو بالقرب منه، وكان لمنظر السحب في الأسفل والبرودة التي لم نحس فيها في الفندق السابق أثر في ظهور ملامح البِشر والسرور على أفراد الأسرة.

في هذا اليوم، يوم الأربعاء، وفي الصباح الباكر منه، وقبل انطلاق أسرة البشر، قرر الابن موسى التوجه إلى (كولومبو) أو مطارها؛ من أجل العودة إلى السعودية، على أي خطوط جوية متيسرة! وهذا القرار حركه امتحان المادة الصيفية التي سجلها، وجاء نتيجة عدة مكالمات مع بعض الإخوان المتعاونين في كولومبو واستعداد بعضهم لمساعدته، وضمان البعض الآخر رحلته إن هو وصل إليهم قبل الساعة الرابعة عصرا، ورغم أن عائلة البشر سوف يودعون المدينة إلى كولومبو هذا اليوم إلا أن مرافقتهم يتخللها الجهل بوقت رحيلهم، والثقة الكاملة أنها لن تكون قبل الظهر، وسوف يخترق مسيرتهم العديد من الوقفات السياحية ومن الخطأ حرمانهم منها، على أية حال استطاع الابن موسى أن يمتطي الخطوط القطرية (كولومبو - الدوحة - الرياض)، وقد عبر عن خطواته من مدينة "كاندي" السريلانكية إلى مدينة "الرياض" السعودية بالكلمات التالية :

(تلقيت اتصالاً في صباح الأربعاء من الأخ/ محمد أسلم يخبرني بتأكد الحجز إلى الرياض، على متن طائرة الخطوط الجوية القطرية، وقد طلب مني القدوم حالاً إلى كولومبو، وهي تبعد ٨٠ كلم من كاندي، وتأخذ من الوقت ٣ ساعات للوصول إليها، وذلك حتى يتمكن من شراء التذكرة، لاسيما وأن الرحلة في مساء ذلك اليوم، ودعت الوالدين والأهل، وأخذت حقيبتي،

وما أحتاج إليه من مال، وخرجت من الفندق (شايا سيتاديل)، وهو يقع على النهر خارج المدينة، سألت صاحب سيارة الأجرة التي تقف بجوار الفندق عن قيمة الذهاب إلى كولومبو؟ فقال ٧٠٠٠ روبية، استكثرت المبلغ، وطلبت منه فقط إيصالي إلى وسط كاندي، وهناك سألت السيارات لأجدها بـ ٥٠٠٠ روبية تزيد بعضها قليلاً وتنقص. كانت لدي مشكلتان؛ وهي أني لابد أن أصل إلى كولومبو في أقل من ٤ ساعات، والأخرى الضعف اللغوي الشديد، وعدم وجود مترجم، وقبل أن أتفق مع أحد السيارات جاءني أحد الأخوة المسلمين، وكان قد علم عن ذهابي وإيابي، وسؤالي أني أريد السفر إلى "كولومبو"، من خلال سماعه لمفاوضاتي مع أصحاب السيارات، فسلم علي، ونصحني أن أذهب مع الحافلة، وأشار بيده إليها، وكانت قريبة منا، توجهت نحوها، وكلما اقتربت ارتفع الصوت منادياً (كولومبو،، كولومبو،، كولومبو) آه لقد تذكرت مباشرة تلك البقعة الطاهرة المحيطة بالحرم، وتلك السيارات المجتمعة، والأصوات المرتفعة (جده،، جده،، جده) (مدينه،، مدينه،، مدينه) وتمنيت أني هناك، وصلت إلى الحافلة - ولله الحمد - وكان سائقها طيب النفس، مبتسم الوجه، ففرحت بذلك كثيراً، سألته كولومبو؟ فأشار إلي بالركوب، لا أدري لماذا سألته وهو ينادي بها أصلاً؟!

وجدت التسعيرة قد كتبت على الزجاجة الأمامية (كولومبو ٢٢٠ روبية)، لم أصدق الفرق الكبير، فخشيت أني لم أفهم المقصود، فاتصلت على صاحبنا / محمد أسلم، وسألته عن الحافلة؟ وجعلته يحادث سائقها قليلاً، ثم أعاد الهاتف لي وقال استعن بالله واذهب معه، وهي أفضل من السيارة الخاصة، إذ إنها أكثر أمناً؛ فالسيارة ستكون لوحدك، والحافلة معك فيها غيرك، أغلقت الهاتف وركبت الحافلة، أنتظر قليلاً، ثم انطلق السائق في ميعاده تماماً.

كانت الحافلة غير مزدحمة، وتتميز بتكييفها، ومراتبها المريحة، وستائرها الفضفاضة، كما لاحظت كثرة المسلمين فيها، مما زادني راحة أكبر، وتتوقف في كل قرية، لينزل من أراد تلك القرية، ويركب من كان ينتظر، وهم عادة لا يتجاوزون الواحد أو الاثنين. ولفت نظري في الحافلة رغم ظروفهم الاقتصادية المتواضعة أنهم يتحدثون بالهاتف المحمول لفترة طويلة، لا أدري لعل أسعار المكالمات لها دور في ذلك، كان الشخص الذي بجواري من هؤلاء الذي لم ينزع السماعة من أذنه، وهو بين مكالمة وسماع مقاطع اختزنها الجوال، وقد علمت من نغمة جواله أنه مسلم، إذ كانت نغمته الافتتاحية نشيد عن الرسول ﷺ، حاولت أن أتحدث معه لكن اللغة حالت بيني وبينه؛ حيث إنه لا يعرف إلا التاميلية، لكن فهمت منه بعض الكلمات الانجليزية، والقليل جداً من العربية، أنه يملك مجموعة محلات للهواتف المحمولة، وهو ذاهب إلى أحدها في كولومبو، أعطاني سماعه الهاتف، فوجدته يستمع إلى تلاوات للشيخ / عبدالرحمن السديس والشيخ /

مشاري العفاسي، وبعدها انشغل بهاتفه وانشغلت أنا بالنظر من النافذة النظرات الأخيرة على ذلك البلد، وصلنا كولومبو في الوقت المحدد، واستقبلني أحد الأخوة أرسله الأخ /محمد أسلم، فذهبت أنا وهو لشراء التذكرة، ثم توجهنا إلى المطار، بعد أن مررنا بالأخ / محمد أسلم، وشكرته وودعته، وتوقفنا في طريقنا للمطار في أحد المساجد، فصليت الظهر والعصر، وقبيل المغرب دخلت المطار، وأنهيت إجراءات السفر، وجلست في صالة الانتظار، بعد أن صليت المغرب والعشاء، لأقضي الوقت حتى موعد السفر في تصفح الإنترنت، وتناول العشاء، إذ كنت جائعاً ومرهقا بعد تلك الرحلة الطويلة، وفي الساعة (٩,٣٠) ليلا ركبت الطائرة، بعد أن أُعلن عن فتح الباب للمسافرين، وأقلعت الطائرة في موعدها المحدد، وكانت المدة (أربع ساعات ونصفا) حتى الوصول إلى مطار "الدوحة"، وبعد الوصول تم نقلنا إلى المبنى المخصص لركاب الدرجة الأولى، وكانت رحلتي إلى الرياض الساعة الواحدة ظهراً).

هذه بعض نفثات الابن موسى، وأتذكر الآن أنه في صباح يومنا الأخير، يوم الأربعاء ١٤٣٠/٨/٢٨هـ، في فندق (شايا سيتاديل) وبعد عودتنا من تناول الفطور المجاني أو الداخل في السعر، لا فرق، الساعة ٩,٤٠، شدّ نظر الأسرة أن العاملين فيه أخرجوا ما في الثلاجتين الصغيرتين من أشياء تخصنا، ومنها " آيس كريم" وأغلقوا الثلاجتين بالمفتاح، وكأننا نريد أن نسافر الآن وليس الثانية عشرة ظهرا، تألمنا من هذا السلوك، وذهبنا لمحاورة المسئول عن الفندق، واعتذروا رغم أن القضية أكبر من الاعتذار؛ لأن الوقوع بها يندر حدوثه بل يستحيل من الفئات العادية، ولقد سافرت عشرات الأسفار وسكنت العديد من الفنادق، ولم أجد مثل هذا المشهد أو ما يشابهه، وكل ما فعلناه أننا صورنا شيئا من الحوار مع القائمين على الفندق ومنظر الآيس كريم، وقد تحول إلى "ماء" وأشعرناهم أن الصور والحوار و القضية سوف ننزلها في بعض مواقع الشبكة العنكبوتية، واستعدوا بتعويضنا إلا أننا رفضنا ذلك، فليس المشكلة بالقيمة، بل بحجم التعامل اللامسئول، وغياب الإحساس بالآخرين، خاصة أن المدة المتبقية لوجودنا لم نتجاوزها، ولو تجاوزناها فليس هذا السلوك السيء من أول الحلول ولا أوسطها، وانتهت القضية عند هذا الحدّ، ولم يتم إيصالها إلى الموقع والمنتديات الحاسوبية.

في مدينة (كاندي) وفي يوم الخميس وصلت إلى الفندق الذي نقيم فيه (فندق أمايا هيلز)، العاملة السابقة في بيتنا بالرياض (نيران) وكانت بوذية فأسلمت، وتأصلت العلاقة بينها وبين زوجتي أولا، وبقية أفراد الأسرة ثانيا، وتواصلوا بالاتصالات الهاتفية معها حينما عادت إلى بلادها، وحينما وصلنا سريلانكا أشعرناها بذلك، وأخبرناها بجدول الرحلة فاختارت لقاء الأسرة في كاندي لقربها من مدينتها، جاءت هي وزوجها وابنها وابنتها، وتكلفت أكبر من

طاقتها في الوصول إلينا من الناحية المال والجهد والوقت، وجلست مع زوجتي وبنتي، وقلبوا صفحات الذكريات، وسألوها وسألتهم، وتأملوا ما أصابها من تغيير وضعف واسمرار، وعلموا أن سببه عملها الشاق في تأمين حاجات أسرتها الأساسية، وأنها تقوم مع مجموعة من النساء بصنع طوب البناء وبيعه، عرضت عليها زوجتي العودة إلى السعودية والعمل بها، إلا أنها وجدت هذا يستحيل مع أعمار ابنها وابنتها، وحاجتهما إليها، وعدم وجود غير الزوج لرعايتهما والاهتمام بهما، فاختارت شظف العيش ومشقته من أجلهما، رغم موافقة زوجها بل رغبته في سفرها وحاجتهم الماسة، وقد ودعها أفراد أسرتي مع من معها بعد أن نفحوها بما تيسر، وبقيت بالنفس قضية إسلامها، وأنها لم تستطع المحافظة عليه و أداء الصلوات إلا صلاة الجمعة، وأن زوجها يرغب في الإسلام إلا أن البيئة البوذية المحيطة به وبها تحول دون التزامها وإسلامه، وسألت نفسي المتألمة كم من مسلم ومسلمة من سريلانكا دخلوا في الإسلام أثناء عملهم في دول الخليج، ولم يجدوا في بلادهم المتابعة والتبني، فضاعوا في بيئاتهم الدينية الأولى؟! وأين مؤسسات سريلانكا الإسلامية وجمعيتها عن هذه القضية المهمة، والتي سوف تنعكس ثمارها - لو تم علاجها - على ارتفاع نسبة المسلمين بينهم؟ وهل المشكلة في الفكرة؟ أو آلية التنفيذ؟ أم المال؟ إن عبء المشكلة يقع - أولا- على القيادات الإسلامية السريلانكية، فهي أعرف بشعابها، وأدرى بنظام بلادها، وبالحلول الواقعية، وبالطريقة المثلى مع عائلة المسلم الجديد، على اختلاف أديانهم، وتنوع لغاتهم وأماكنهم، وقد طرحت هذا الموضوع على القائمين بإدارة فرع هيئة " الإغاثة " في سيريلانكا، وأفادوا أنهم يعالجون المشكلة في حدود ظروفهم الصعبة، أعانهم الله.

في الوقت الذي تحتفي أسرتي بخادمتها السابقة كنت أتجول في مقر (جمعية أنصار السنة المحمدية بسريلانكا)، في (فركها ديني)، بالقرب من مدينة (كاندي)، وأتحدث مع مديرها الشيخ/ محمد أبو بكر صديق المدني، خريج كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ومبعوث وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية فيها.

تأسست الجمعية عام (١٣٨٨هـ) على يد فضيلة الشيخ/ عبد الحميد آدم فلي البكري، (ت ١٣٩٥هـ) رحمه الله، ثم تولى إدارتها الشيخ/ آدم باواعليار، وقد قامت بجهد متواصل ومتميز في نشر العقيدة الصحيحة، والمنهج الصائب الخالص، على يد مديرها الحالي/ محمد أبو بكر، ودعم مسيرتها من أفذاذ مخلصين، وتأييد مشايخ فضلاء، ومساعدات معنوية ومادية من شطري المملكة العربية السعودية (الحكومة والشعب)، ويلتحق بالجمعية أجهزة متخصصة وتابعة لها، من أهمها:

١- معهد دار التوحيد السلفية.

٢- مركز النور لرعاية الأيتام.

وقد اطلعت على تزكيات المشايخ الفضلاء لجمعية (جمعية أنصار السنة المحمدية) أمثال:

١-	الشيخ / نادر النوري	الكويت وزارة الأوقاف
٢-	الشيخ / محمد بن قعود	السعودية رئاسة البحوث العلمية
٣-	الشيخ / أحمد منصور	مصر المعاهد الأزهرية
٤-	الشيخ / عامر الماجد	الكويت جمعية إحياء التراث
٥-	الشيخ / أحمد الرومي	السعودية الملحق الديني في بنغلادش

مع خطابات شكر وتقدير ودعم من:

١- سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز.	السعودية
٢- سعادة السفير/ محمد العلي.	السعودية

٣- أمير الكويت الشيخ / جابر الأحمد الصباح.

٤- إمام الحرم المكي / محمد السبيل.

٥- إمام الحرم المدني / صلاح البدير.

زرت الجمعية يوم الخميس ٢٠٠٩/٨/٢٠م الموافق ١٤٣٠/٨/٢٩هـ، حيث وصل إلى الفندق الذي أقيم فيه الشيخان / محمد أبو بكر، ومعه فضيلة الأخ / محمد ريال محمد صادهان السيلاني، (مساعد مدير معهد الحرم المكي الشريف)، وهو مواطن سريلانكي الأصل، ذهب إلى السعودية منذ الحادية عشر من عمره، وواصل تعليمه والتصاقه بعلماء المملكة، حتى أخذ شيئا من الدين والدنيا، ونال الجنسية السعودية، وكان لدينه نصيب من نجاحاته وتوفيقه.

جاء الشيخان إلى الفندق؛ من أجل أن أصطحبهما إلى مقر مركز جمعية أنصار السنة، وكانت نعم الصحبة، حيث تخللها حديث متشعب عن أحوال المسلمين في سريلانكا وتطلعاتهم،

وشيء من تاريخهم وعلاقاتهم، وأدينا صلاة الظهر في مسجد الجمعية، ثم اتجهنا إلى مشاهدة أرض تبرع بها الشيخ / محمد السيلاني لتكون معهدا للبنات، ثم ذهبنا لتناول طعام الغداء، ببيته القريب من المسجد، وبعد ذلك ودعتهم مع إصرارهم على أن توصلني سيارة الجمعية إلى مقر سكني، وإلحاحهم أيضا أن تحملني وأسرتي إلى كولومبو يوم السبت، وذلك حينما سألتهم عن إمكانية الحصول على حافلة لمسلم أو سائقها مسلم، فأبوا إلا أن يقوموا بالمهمة، وأبيت إلا أن أدفع الأجرة، فاقترحوا على مضض أن أدفع قيمة وقودها، فوافقت وأضمرت أن أقدم للسائق أجرة المثل كاملة من خلال قيمة البنزين.

تأملت أحوال المسلمين في سريلانكا، وتراوحت أفكاري ما بين الفرح بهم والخوف عليهم، وعلمت أن مصر قدمت لهم «١٥» مدرسا أزهريا، ورابطة العالم الإسلامي لها «١٢» داعية، متوسط رواتبهم «٥٠٠» ريال، الغالب منهم في الجامعة النظيمية، إضافة إلى أن عددا من أبنائهم حصلوا على منح دراسية في مصر والسعودية والكويت وماليزيا وباكستان، كما أن الدعم الإيراني أخذ في الاتساع والتجذر، وكانت بدايته دعمها لإنشاء ثلاث صحف هي (الرسالة) و (الإسلام) و (اليتسكوريل)، وإشرافها على (منتدى الصحفيين الإسلاميين)، وكم هو جميل ومفيد أن تسهم دول الخليج العربي بـ:

١- إقامة مخيمات شبابية إسلامية.

٢- استضافة عدد من الرموز الإسلامية السريلانكية.

٣- تأسيس رابطة للناطقين باللغة العربية في سريلانكا.

٤- مشاركة البنك الإسلامي للتنمية في تنمية مدن ومناطق المسلمين.

٥- وضع خطط لمتابعة المسلمين السريلانكيين الجدد، ومعالجة قضاياهم المهمة.

٦- إعادة بناء المساجد والمدارس التي هدمت في سنوات حروب التاميل، أو التي أثرت فيها سنوات الجدب ورياح التعرية.

٧- دعم المؤسسات والمدارس الإسلامية بأوقاف تحفظها وتنميها، وتؤصل استقرارها.

استقلينا يوم الجمعة ظهرا - أنا والابن صالح - تكتك إلى أقرب مسجد جامع، وأدينا

صلاة الجمعة فيه، وصافحنا الإمام وسألنا وسألناه الأسئلة التقليدية التمهيدية من أين أنت؟ من أين أنتم؟ ما اسمك؟ ما اسمكم؟ أين تسكنوا؟ أين تعلمت العربية؟ وحينما أردنا أن ننقل الحوار إلى المواضيع المهمة والقضايا المعاصرة، إلى نسبة المسلمين، والأديان الموجودة في القرية، والمذهب، وهل المسجد يقوم بتفطير بعض الصائمين من المسلمين في شهر رمضان الذي سيهل علينا غدا أو بعد الغد على الأكثر، ظهرت ملامح ضعفه اللغوي، وقلة الكلمات المحفوظة أو البعيدة عن الذاكرة السطحية، وأخذ ينظر ببلاهة! ويجيب على غير أسئلتنا، اضطررنا أن نودعه ونشكره، ونسأل الله العلي العظيم له ولنا التوفيق والسداد.

لفت نظري في فندق كاندي (أمايا هيلز) وجود خدمتين، الأولى مرتفعة السعر بالنسبة للسريلانكيين، وهي "الخدمات الصحية الطبيعية"، وتشمل الاستحمام العشبي، والعلاج بالدهن والبخور والتدليك، وقد وضعوا أسعارا للكل وللأجزاء، وعلى مدخل مكتبهم خريطة واضحة للجسم وتفاصيله، وأما الخدمة الثانية فهي قراءة الكف، ولم أقف عليها أو أستفسر عن سعرها، ولكني تأملت الرجل الذي يقوم بهذا العمل، أظن أنه في العقد السادس من عمره، متعافٍ وممتلئ الجسم، التهم التصحر الكثير من شعر رأسه، وتعبر ملامحه عن حزن طويل الأجل، ثابت الجذور، وكأنه اعتاد عليه، أو تصالح معه، وهو ما بين كرسي يجلس عليه ويستقبل زبائنه، ويستعين بمكبر بصري يقرب إليه خطوط الكف، أو أنه في خطوات هادئة ما بين صالة الفندق والمسبح، ينتظر ضحاياه، حفظنا الله جل جلاله، بعينه التي لا تنام، وبركنه الذي لا يضام، وبعلمه وقدرته ورحمته.

مدينة كولومبو

في صباح يوم السبت ٢٠٠٩/٨/٢٢م الموافق ١٤٣٠/٩/١هـ، رتبنا أمور رحلتنا إلى كولومبو، وجاءت سيارة (جمعية أنصار السنة) في اللحظة التي نريدها، والوقت الذي اتفقنا عليه، وانطلقت بنا إلى العاصمة دون توقف، ولو كانت سيارة مستأجرة، يربطنا بها عقد واضح، ولو لم تكن عودتنا في رمضان لكان طريقنا طريقا سياحيا، نقف هنا قليلا، وهناك أكثر، ونشترى من بعض العربات المتحركة شيئا من إنتاجهم، ونمر على حديقة الأفيال ومزارع الأناناس، ومعامل البهارات، يضاف إليه أن الاحترام المتبادل لأصحاب السيارة المبني على المجاملات، وأحاسيس أثر المعروف، والحياء المتضخم يبعثر الكثير من الأفكار المجتمعة، ويقتل الآراء الحية، ويفقدنا الكثير من استقلالنا ورغبتنا.

بالقرب من طريق كاندي - كولومبو (حديقة أيتام الفيلة)، وهي توازي مزارع الشاي والأحجار الكريمة والشلالات بالنسبة للسائحين، أعطيت حجما كبيرًا من الإعلام، وأخذت مساحات لا بأس بها من أحاديث الزائرين، كانت بدايتها أنها مقر للفيلة اللاجئة، والمصابة من «حروب التاميل»، ثم احتضنت الفيلة اليتيمة، فتحول المكان وما فيه إلى منتجع سياحي، يحفظها من القصف والألغام، ويرعى المصابين والأيتام منها، وتعلمت الانسجام مع الناس، ولغة المربين لها، والفيلة من الحيوانات التي تتعلق بصاحبها، وتُستخدم للعمل، وللاحتفالات بعد إلباسها ملابس مزخرفة، ولها شيء من القداسة لدى الهندوس.

قرر أفراد الرحلة قبل التوجه إلى العاصمة أن لا يزوروا (حديقة الفيلة) لأن لوحتها الإعلامية أكبر من حقيقتها، ثم تأكد القرار حينما علمنا أن ساعة عرضها واستعراضها لا يناسب وقت قربنا إليها، والقشة التي قصمت الفكرة رغبتنا في إبعاد سيارة الجمعية وسائقها عن كل مشقة، أو إهدار للوقت.

وصلنا بعد الظهر إلي (فندق سينمون) في كولومبو، وكان الجميع يتعايشون مع أول يوم من أيام رمضان، فكانت الراحة - بعد الوصول - من لذائذ اللحظات وأجملها، وإن لم يصبهم تعب ولا وصب، ولكنها حالة طبيعية لمن يدخل في برنامج جديد بدون مقدمات، ويحس أنه في سفر وإن كان سياحيا، ثم إن للشحن النفسي دوره الملموس، والتوجه للمجهول من دواعي القلق، والدليل الأكبر أنهم في الغد تجولوا في ردهات الفندق، واكتشفوا الكثير من زواياه، وتعرفوا على مسابحه ومطاعمه وصالاته، وأعقب ذلك جولة طويلة في السوق، لم يعلق بها شكوى، ولم يليها غفوة أو استلقاء، ولم تذبل وجوه، أو تنظر العيون بشوق وأمل إلى عقارب الساعة المتجهة

إلى وقت آذان المغرب؛ لكي يبلوا عروقهم بشيء من التمر والقهوة والماء.

في صباح هذا اليوم - يوم السبت - وقبل وصولنا بساعتين، انطلقت أسرة (منصور البشر) إلى الرياض من كولومبو، وقد عبروا عن خطواتهم في العاصمة السريلانكية حتى المغادرة بالعبارات التالية:

(يصعب على الإنسان أن يفارق من أحبه، لكن هذه سنة الحياة، خاصة وأن الفراق بعد أن كان متميزًا بالمحبة والألفة والتفاهم على كل شيء، وقضاء أيام ممتعة جدًا، تُعد من أجمل وأفضل سفراتنا على الإطلاق، والتي كانت مع عائلة محافظة كريمة، ألا وهي عائلة أخي العزيز د/ عبدالله بن عبدالعزيز اليحيى، التي تربطنا به وعائلته روابط (قربه) من الجهتين، فنسأل الله العلي القدير أن يحفظهم ويرعاهم، وبالنسبة لمغادرة كاندي كانت الساعة ١٢ ظهرا على الباص نفسه وحدَنا، وقد مررنا بطريقنا إلى كولومبو بالعديد من القرى، وهي على نفس الطريق، وتوقفنا في إحدى المحطات لمشاهدة حديقة صغيرة «يزرع فيها جميع المزروعات التي يؤخذ منها علاجات متعددة»، وقد اشترينا بعضاً من معروضاتهم، وغادرنا المكان بعد توقف ساعة كاملة إلى كولومبو، ووصلنا الساعة الخامسة عصرا، واتجهنا إلى فندق كبير جدا خمس نجوم اسمه (الأنتركونتيننتال)، وكان في منطقة مشهورة بكثرة الفنادق ومجلس البرلمان السريلانكي، ويوجد العديد من نقاط التفتيش الأمنية أثناء الدخول أو الخروج من تلك المنطقة، وقد تجولنا بالمدينة التي لم تعجبنا كثيراً، مقارنة بالمناطق التي زرناها سابقاً مع أسرة اليحيى، حيث معروف لدى الجميع عن العواصم وما فيها من مشاكل في جميع النواحي، تكون عبئًا على بعض السائحين، ولم تدم إقامتنا إلا يومين فقط، وغادرنا في أول يوم من رمضان ١٤٣٠هـ إلى الوطن الأم السعودية)

يظهر أن مركز المسلمين الحركي، ومقر جمعياتهم ورموزهم ومحور لقاءاتهم بإخوانهم من خارج سريلانكا هي العاصمة (كولومبو) ففيها الأسماء المتميزة، ومكان الكثير من العناوين المجلوبة من الخارج، وأبواب السفارات الإسلامية المطلوبة وغير المطلوبة، وما سبق جعل في النفس شيئا من الأسف أني لم أجعل بداية الرحلة منها، ولو كان ذلك لما كنتُ كحاطب الليل، والمتخرص فيما لا يعلم، والمستسلم لما يلاقيه، هذا في دائر العمل الإسلامي فقط، وما يليه أشد حيرة، وأكثر متاهة، ولكن الله سلم.

تناولنا في أول يوم وصولنا، يوم السبت، أول أيام رمضان، طعام الإفطار في بيت الشيخ أبو بكر صديق، وعانيت من قرار الموافقة؛ لكثرتنا وجهلي بظروفه، ورغبتي الشديدة في

القرب من المسلمين السريلانكيين، والاندماج - ولو لساعة أو ساعتين - في محيط حياتهم الحقيقي، وخوفي من أحواله المالية، ولكن إلحاحه حطم ترددي، وحقق أملي، وقضى على ظنوني، واكتشفت فيما بعد أن استجابتي لدعوته أمنية جميلة للشيخ وأفراد أسرته - زوجته وابنته - من خلال استقبالهم لأسرتي وأحاديث المحبة والسرور بينهما، ومعارضتهم الشديدة في خروجنا مبكرين، بعد تناول الطعام وقبل صلاة العشاء، مما دفعنا جميعا - الرجال - إلى الذهاب إلى أقرب مسجد للصلاة فيه.

اتصلت ليلا بعد وصولي إلى الفندق بعدد من الإخوان السريلانكيين هاتفيا، وحاولت أن ألتقي بهم في الغد أو في الليلة نفسها؛ لمعرفة أحوالهم وأحوال الإسلام والمسلمين، والتأكد مما لدي من معلومات عنهم، وإضافة أشياء جديدة إليها، اتصلت بالأخ / محمد (زوج ابنة المشرف على الدعاة الذين ترعاهم المملكة العربية السعودية) والمتجذر في الدعوة منذ ثلاثين سنة، فضيلة الشيخ / محمد مخدوم مبارك، وجاء إلى الفندق مع أحد أصدقائه بعد نصف ساعة من المكالمة، لأنه سوف يسافر وزوجته غدا الصباح إلى السعودية، حيث إنه طالب في (كلية الشريعة) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويرغب الصيام في المملكة، فكلف مرافقه بتسهيل إجراءات مقابلتي لشيخ الدعاة في الغد أو بعده، وتحدثنا عن أحوال المسلمين باقتضاب.

واتصلت أيضا بالشيخ أويس محمد، سكرتير مدير فرع هيئة الإغاثة الإسلامية في سيريلانكا، وتبادلنا كلمات مختصرة، خلاصتها استعداده في تقديم أي خدمة نحتاجها، وموافقته على لقاء في الغد.

تم اللقاء بالأخ أويس يوم الأحد في بهو فندق (سينمون)، ووجدت فيه حيوية الشباب، وتجارب الشيوخ، رغم أنه لم يدخل دائرتهم بعد، وبقي الحديث بيننا حول أحوال المسلمين في سريلانكا، ولكنه حديث طويل ومتداخل، فيه العقبات والتطلعات، ومؤشرات العافية والرضا، وأعراض الهموم وعلامات الهمم، وأسعدني منه تأييده لبعض استنتاجاتي، وتقديره لغالب معلوماتي عن سريلانكا، تأييدا يشعرني أني في الحمى أو قريب منه، وأني حققت من هذه الرحلة نقاطا مهمة من أهدافها، والمتمثلة في معرفة شيء عن المسلمين في هذه البلاد، وأني أخيرا لم انزلق في رأي أو تصور خاطئ، رغم انطلاقي من الأطراف، متجها إلي المحور، وأسباب ذلك تعود - بعد توفيق الله - إلى ما قرأته من مقالات وتقارير عنهم قبل الشروع في السفر.

في يوم الاثنين الساعة (١٠،٣٠) صباحا، الموافق ١٤٣٠/٩/٣هـ، اتجهت إلي السفارة، حيث إنها تغلق أبوابها يومي السبت والأحد، وتجاوزت بعض الحواجز، وسجلت اسمي، واستدعاني المسئول عن الشؤون الإسلامية في السفارة، وقد عرفني ببطاقتي التعريفية التي

وصلَت إليه قبلي، وتذكرني، وحينما دخلت عليه تذكرته، إنه زميلي الأستاذ/ بندر العتيبي في دورة علمية من دورات المعهد الدبلوماسي، موضوعها (العلاقات الدولية)، بدايتها في ١٤٢٨/١٠/٨هـ، تبادلنا - باقتضاب - قليلا من أحاديث الذكريات، ثم تحول مجرى الكلام إلى تاريخ الوصول، ومكان السكن، وساعة الرحيل، وهدف الرحلة، وخطواتها والانطباع عنها، وهذه كلها مقدمات لموضوع دور السفارة في خدمة الإسلام والمسلمين في سريلانكا، وبعض المعلومات عنها وعنهم وعنه، فتذللت رهبة اللقاء بالسفارة والسفير.

قابلت عددا من السفراء السعوديين والكثير من نوابهم، واطلعت وسمعت شيئا من قصصهم، وتقارير وأخبارا عنهم ومنهم، وتصورت الروايات المتواترة العديد من مواقفهم، والمؤسف والجميل في وقت واحد أن نسبة عالية من اهتمامهم بقضايا المسلمين نابع من حجم همهم الداخلي نحو هذا الموضوع، وثقافتهم فيه، وحجم قربهم أو بعدهم عن إسلامهم، وليس انطلاقاً مما يتطلبه عملهم، وما تفرضه مكانة المملكة، وكأنها دولة مدنية معاصرة، ترى أن الدين من مهام مؤسسات المجتمع المدني.

إن التباين بينهم واسع ومؤلم، فواحد منهم يرى وجوب ابتعاد الإسلام - رغم إيمانه به - عن أروقة السفارات السعودية، ويؤمن أن عبء نشره والدعوة إليه تقع على عاتق مؤسسات المجتمع المدني (أين هي؟ ...) وآخر تلقى ثقافة ليبرالية غربية، لا يلمس في الإسلام ميزة، ولا يرى فيه قوة وروعة، ثم دعم موقفه الحرب الغربية على الإرهاب، وما يسمى بالأصولية الإسلامية، والإرهاب، والحملة الإعلامية الكثيفة القاسية على الإسلام والمسلمين، فأصبح رافضا للمنح الدراسية الإسلامية، والمؤسسات الخيرية، والأفراد والقرارات والتوجهات المؤيدة لها، كأنه في خندق الأعداء إن لم يكن فيه.

ومجموعة أعطت نفسها هواها، ووظفت وظيفتها في سبيل ذاتها، وسارت في دربين، درب السهر والتمتع واللذة واللامبالاة، فهم يأتون إلى عملهم متأخرين وعلى جفونهم آثار السهر والاحمرار والقلق والضعف، وأخرى سعت إلى استحلاب المكانة والتمكن والوظيفة في تنمية رصيدها ومضاعفه رأس مالها، فلا تعطى عملها إلا بحجم ما يضخ في جيبها من دينار ودرهم.

ورابع ينظر إلى الوظيفة نظرته إلى الوسائل الجميلة، وينطلق من أنه يمثل أطهر بقعة على الأرض، وخير أمة، ومن قوتها الناعمة، وأقرب قيادة إلى الإسلام، يسعى إلى جعل (١٣٠٠) مليون مسلم في العالم من أعماق أوطانه، ومحاور أمنها وحضورها وتنميتها، وأن المملكة العربية السعودية أعظم دولة إسلامية، وأهم حكومة مسلمة، وأفضل شعب ملتزم، وأن على أجهزة

الدولة من خلال رسالتها ومواقفها وموقعها في قلوب المسلمين تبليغ الناس وإرشاد الأمة، يعضد لها ما فيها من أماكن مقدسة، وما انطلق منها من خير إنساني رائع منذ ألف وأربع مائة سنة، وما تبناه زعماؤها وحكوماتهم من دعوات إسلامية معاصرة تسعى إلى استعادة التوحيد الخالص الصائب والتشكل بأبعاده وألوانه.

تشعب الحديث مع الأخ بندر العتيبي ولم يقطعه إلا خبر مجيء المسؤول إلى مكتبة، وتهيئة الخطوات لملاقاته، فخرج ثم عاد، وتحدث بالهاتف ثواني ثم أمرني بأسلوب مؤدب ما رأيك إن نلتقي بالمسؤول؟ وكأن الموافقة لم تأتِ إليه، وأن القرار قراري فأجبته: على بركة الله.

دخلنا على المسؤول، وعرفني عليه باختصار وأدب وخرج، وجلست على كرسي، لا يفصلني عنه إلا طاولة كبيرة توسطت الثلث الأوسط من المكتب أنتظر فراغه من أوراق يطالعها، وأنظر إليه وهو يكتب على بعضها ويؤشر على أخرى، واستغليت الوقت في قراءة ملامح وجهه، ومحاولة معرفة طبيعته، واستشفاف توجهاته وتلمس أقرب الدروب إليه، واكتشاف عنوانه الكبير، خرجت - بشكل آلي- بقرارين الأول أن لا أقدم له جميع مؤلفاتي التي أحملها في ظرف معي، وأكتفي بكتابين (الوسطية الطريق إلى الغد) و (القتل والتحريض عليه في المناهج الإسرائيلية)، والثاني أن لا أدخل معه الآن في مناقشة موضوع أحوال المسلمين في سريلانكا ومعاملاتهم، وكأني أمثل أمانة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ولكن أُلمح إلى حجم العلاقات بين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وسفارات المملكة في الخارج، وما أنجزه المجلس بشأن إخواننا في سريلانكا، وقدمت له قائمتين تحمل الأولى المعاملات المنتهية بالدعم للجمعيات، والمدارس الإسلامية السريلانكية، أما الثانية فهي تحتضن أسماء المؤسسات والمدارس التي سوف يدرسها المجلس، وتوقعت أن يجري حولهما حوارا، أو يحتفظ بهما، أو هكذا يجب، ولكنه اطلع عليهما بسرعة، أو هكذا شعرت، وأعادهما بتعليق لم يتجاوز لسانه وكأنه مشغول بما هو أهم، ثم أخبرني بأن السفارة ستقيم هذا المساء طعام إفطار للوزراء السريلانكيين والبارزين من رجال الحكومة مع سفراء الدول الإسلامية، وأنه يدعوني لهذه المناسبة، ومناسبة مثلها ولكنها في يوم الأربعاء القادم للعلماء والنخبة من المسلمين السريلانكيين، وسيكون مع وجبة الإفطار ألبان «نادك» السعودية، وحدد المكان، فشكرته على الدعوة، وقبلت الأولى، واعتذرت عن الثانية رغم أهميتها؛ لأني سأكون - إن شاء الله- في الرياض ذلك الوقت، ولكن فرحت بوجود المناسبة، وحرص المسؤول على استغلال مثل هذه الفرص الدينية، ومن المؤكد أن فوائدها لا تحصى، خاصة إذا ارتبطت بهدايا تناسب المناسبة، كالمصاحف، والتمر، وقطع صغيرة من قماش الكعبة، واستضافة فئة منهم لأداء سنة «العمرة» في رمضان.

عدت إلى الأخ بندر واستكملنا - باختصار - الحديث وأدركت همّه، وقدرة همته، وشكرته، وودعته على أمل اللقاء مساء هذا اليوم في «الأنتركونتيننتال» استجابة لدعوة سعادة المسؤول.

انتهى فطور السفارة هذا اليوم في الفندق على خير، ورافقني إليه ابني محمد واعتذر الابن صالح، وكان على الطاولة التي جلست عليها سفير العراق، وممثل فلسطين والثالث من الدبلوماسيين الإماراتيين وجاء الحديث - كالعادة في هذه المناسبات - سطحيا، وجس نبض متبادل، مع شيء من الحذر والمجاملة، والتعاطف على ضحايا وجرحى التفجير الانتحاري لوزارة الخارجية العراقية في بغداد يوم الأربعاء الماضي، وقد أصبح أقرب موضوع يقطع الصمت ويلتقي الجميع حوله، ويكون محورا تتسرب منه الأحاديث إلى قضايا أخرى، ويبقى الحاضر الأكبر في جلستنا هو تبادل التحيات والسلام بالأيدي، ووصول بعضها إلى القبلات بين أفراد طاولتنا، وما يمر عليها من ضيوف، متجهين إلى طاولات أخرى تليها.

بعد الفطور وما رافقه من عشاء فصلت بينهما صلاة المغرب جماعة في بهو الفندق، ودّعت المسؤول شاكرا له حسن دعوته واستقباله، وحجم الاستعداد لهذه المناسبة، وسألني بسرور هل أكلت من «الشاورما»؟! فأخبرته أن ابني فرح بها وأكل منها، وذكّرته بالمملكة، فابتسم ابتسامة الرضا والنجاح، ونظرت إلى ابني فوجدته أيضا يبتسم، ولكنها تشبه ابتسامته حينما يسمع نكتة للمرة العاشرة.

ذهبت الأسرة ضحى يوم الثلاثاء إلى بعض الأسواق التجارية، واشتروا قليلا من الملابس المناسبة لبلادنا وأسعارنا، ولم يعودوا إلا في منتصف العصر من أجل إعداد الفطور، وعودتهم لم يعلق بها تعب أو إرهاق نتيجة الصيام، وقبل ساعة من الإفطار أعددت نفسي للذهاب إلى مقر (هيئة الإغاثة)، وتناول طعام الإفطار مع مدير الهيئة (صديق نوفر) والأخ (أويس) الذي سيصل بعد دقائق إلى الفندق لأرافقه إلى المقر، طلبت من الابن صالح ومحمد مرافقتي، إلا أنهما فضلا البقاء بالفندق، والتمتع بخدماته على دعوة يحيط بها الصمت، والنطاق الضيق، وشيء من التهميش لهما، والجهل بالبرنامج ووقت العودة، ووجدت أن رفضهما للدعوة له ما يبرره بالنسبة لنظرتهما وما يتطلعان إليه.

وصل (أويس) إلى الفندق مبكرا، واتجهنا بسيارة الهيئة إلى مقرها، وتخلل الطريق أحاديث متنوعة، لا يربطها إلا الأخوة الإسلامية، تراوحت ما بين الدعوة والتجارة، وأحوال سريلانكا، وسيرة أويس الذاتية، وأفضل أنواع الفواكه في هذا الوقت.

وصلنا - أويس والسائق وأنا - إلى مقر الهيئة، ومكان تناول الفطور، ووجدنا الأخ (صديق نوفر) وتبادلنا السلام والتعريف، ثم انطلق الحديث - بدون مقدمات - نحو أحوال المسلمين في سريلانكا، ومشاكلهم واحتياجاتهم، يتخللها حضور بارز لدور هيئة الإغاثة في سريلانكا، وجهود د/ سليمان بن حمد الصقري؛ المشرف الإقليمي للهيئة في منطقة القصيم، والمسئول المباشر عن مكتب الهيئة في سريلانكا، وخرجت بالمعلومات التالية:

١- هيئة الإغاثة فرع من فروع رابطة العالم الإسلامية في مكة المكرمة، لها عدة مكاتب داخلية وخارجية، ويشرف على الخارجية المكاتب الموزعة في أهم المدن بالمملكة العربية السعودية.

٢- مكتب هيئة الإغاثة في سريلانكا (كولومبو) تأسس عام ١٤١٢هـ- ١٩٩١م ويشرف عليه مكتب الهيئة في مدينة بريدة، وهو مكتب القصيم الإقليمي، والمسئول عنه فضيلة الدكتور/ سليمان الصقري.

٣- محاور أنشطة مكتب الهيئة في سريلانكا:

أ- بناء المساجد.

ب- حفر الآبار.

ج- الإغاثة العاجلة.

د- الرعاية الاجتماعية.

ه- برنامج تنمية المجتمع والمشاريع.

و- الرعاية الصحية.

خرجت من اللقاء برصيد أخوي، وآمال جميلة، وإعجاب بالعاملين في المكتب وبالعمل، وتبادلنا الأحاديث حول مشاريع جديدة يجب أن يتبناها مكتب سريلانكا وهي:

أ- شراء المقر المستأجر للمكتب، خاصة أنه معروض للبيع.

ب- وضع برنامج طويل الأجل لرعاية المسلمين السريلانكيين الجدد، خاصة أولئك الذين أسلموا في دول الخليج.

ج- مد يد العون للمسلمين في مناطق حروب التاميل بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

د- ويبقى بعد ذلك عقبات الضغوط العالمية - الأمريكية - على المؤسسات الإسلامية وأموالها، واستسلامنا للكثير منها دون قيد أو شرط أو مراجعة.

إن المسلمين، والمسلم أولًا، يفقد الكثير من حضوره العالمي، وتأثيره، ورسالته، حينما يجهل حقوقه أو يتنازل عنها مكرهاً أو راضياً، ويزداد الأمر سوءًا حينما يُجرد من حريته أو لا يبالي بها، وتتضاعف معاناته عندما يستغل الغرب حالته تلك فيهمش مكانه ومكانته وإمكانياته، وتأتي الطامة الكبرى، وقاصمة الظهر تكمن في تحالف سلطته مع أعدائه عليه، وسعيهما في الاستيلاء على ثرواته وتشويه تراثه، ووضع أسباب التأخر والضعف على كاهله.

العودة إلى الرياض

عدت إلى فندق (هيليتون) بعد المغرب وقبل العشاء، بعدما تناولت طعام الإفطار في مقر هيئة الإغاثة في كولومبو، وكان الحديث مع أفراد الرحلة عن أحوالي مع مضيفي، قال الشاعر الجاهلي / البُرجُمي - بضم الباء والجيم -:

وأعلم بأن الضيف مخبر أهله بمبيت ليلته وإن لم يسأل

وأخبرتهم أن الأخ (أويس) يرى أن أفضل الأشياء التي يمكن حملها إلى السعودية هذه الأيام هي «فاكهة الأناناس»، فهي في قمة استوائها وكثرتها ورخصها، واقترحَ أن يقوم هو بتجهيز «كرتونا» متوسط الحجم، ويرسله إلى الفندق بعد ساعة أو أكثر قليلا، واقترح أيضا أن تقوم سيارة الهيئة بإيصالنا إلى المطار غدا في الصباح؛ استعدادا للسفر إلى الرياض، وافقت على الأول على أن تحدد تكلفته أو أقدره بطريقتي الخاصة، أما الاقتراح الثاني فقد أشعرته - بلطف وشكر- أن الأسرة نسقت أمر الوصول إلى المطار مع سائق حافلة، كان يخدم الأسرة في كولومبو، وانتقل الحديث إلى ترتيب أمر المغادرة والاستعداد لها، وتجهيز متطلباتها قبل النوم، فالمسافة بين كولومبو والمطار ساعة أو تتجاوزها قليلا، والرحلات الخارجية تفضل الحضور إلى المطار قبل إقلاع الطائرة بساعة ونصف على الأقل، ثم يأتي أهمية الاحتياط بزيادة نصف ساعة أو ما يقاربها، وامتد الحديث إلى تفاصيل التفاصيل، إلى إشعار الفندق بمغادرتنا في تمام الساعة السابعة صباحا، وإلى تقسيم ما يرافقنا من مستلزمات إلى:

الحقائب اليدوية وما فيها من احتياجات تخدمنا أثناء الطريق، إضافة إلى ما نحمله من شاي وقهوة ومأكولات خفيفة، وعلب صغيرة من الماء، وكاميرات وهواتف، وجوازات وتذاكر الطائرة.

الحقائب الكبيرة، وهي أقل حجما ووزنا من حقائبنا أثناء القدوم، يضاف إليها كرتون "الأناناس" الذي وصل قبل قليل، وبلغت قيمته "٩٠٠" روبية سيريلانكية، وتم تسديد قيمتها.

أشياء انتهت علاقتنا بها، ومن الأفضل إعطاؤها لمحتاج كـ "الموقد الكهربائي" و "قِدر" وبقية مما استعملناه أو أكلناه، وهذه جمعناها في صندوق واحد وهيّأناها للسائق الذي سوف يحملنا إلى المطار.

في صباح يوم الثلاثاء، وفي الساعة السابعة، كنا جميعا عند باب الفندق الرسمي نضع أشياءنا في مؤخرة السيارة، بمساعدة السائق والعاملين في الفندق، ثم توزعنا على الكراسي وانطلقنا إلى المطار.

أفراد الرحلة كانوا في حالة سرور ظاهر، وكأنهم سيلتقون بعد ساعات بأشياء جميلة فقدوها، إنها مشاعر كثيفة، حرّكتها خطوات العودة إلى الوطن، والبيت والأقارب والأصدقاء، والذكريات والمدارس والعمل، والأخبار الاجتماعية ونكهة رمضان، وتذكروا الخادمة الإندونيسية في منزلنا، وإننا - مع الأسف - لم نحمل من سريلانكا ما نقدمه لها، فاقترحت أم موسى أن نشترى الآن كيلوين من السمك الصغير المجفف، فكان نعم الرأي، وسألنا السائق عن إمكانية هذا؟ فأفادنا أن جميع محلات التموينات تتوفر فيها هذه السلعة، وسوف يقف بعد قليل من أجلها، فوقف وترجل من السيارة مع الابن صالح، وأحضرا المطلوب، وكان سعره (١٨٠) روبية.

تمحورت أيام إقامتنا في «كولومبو» أمام عيني في ثوان، ورأيت أن الأسرة لم تذهب إلى:

١- المتحف الأول في كولومبو.

٢- حديقة الحيوانات.

٣- بعض الحدائق العامة.

٤- المسجد الكبير.

٥- بعض المدارس والجامعات.

ولعل الصيام، وخصائص الأيام الأخيرة للرحلة، وكثافة لقاءاتي الخاصة مع بعض المسلمين السريلانكيين والسفارة، أحاطت تلك المعالم المهمة بالعقبات والغفلة، وأدركت - مع الأسرة - أن سريلانكا تحتاج إلى زيارة أخرى، أو إلى ترتيب أفضل، ثم تساءلت أين السائحون العرب عن سواحل الجزيرة الجنوبية، وأطرافها الغربية والشرقية؟ فازداد يقيني بأهمية العودة، وسوف تكون أفضل من الأولى، وأقل تكلفة، لأنها ستوظف الملاحظات والأخطاء والعلاقات والمعلومات السابقة في اللاحقة.

اتجه الحديث بعدما استوت السيارة على الطريق المؤدي للمطار إلى موقف طريف ومؤلم، ضحك أفراد الرحلة منه وآلمني! ألا وهو أن الابنة غدير (وهي الوحيدة التي قررت الصيام يوم السفر) قد وضعت منبه الهاتف النقال على المساء بدل الصباح فخسرت السحور وبركته، ومع هذا أصرت على الالتزام بالصوم، وذكرناها أن صيامها سيمتد إلى ساعتين إضافتين إلا أنها

قررت المواصلة، مما جعلها تصوم ذلك اليوم ما يقارب من عشرين ساعة.

قبيل الوصول إلى المطار توقفت "الحافلة" عند نقطة تفتيش أمنية، فالحكومة السريلانكية ما زالت في حذر ورهبة من "نمور التاميل" رغم هزيمتهم والقضاء عليهم، إلا أنها تخشى من جيوب خفية، أو أفراد لم يبق أمامهم إلا العمليات الانتحارية، ولكن الجميل في هذه النقطة أن فيها مفتشات من النساء على النساء، و الملاحظة الثانية أن المفتشين يراعون السائحين، و يمنحونهم شيء من الرفق والابتسامات، ويسهلون إجراءات مرورهم، تجاوزناهم، ووصلنا المطار في الساعة الثامنة والنصف، وودعنا السائق وكافأناه وأعطيناه بقية الأمتعة، وتم إنهاء مرور الحقائب على الأجهزة والحصول على كروت صعود الطائرة، وبقي تعبئة استمارات الخروج لعرضها على الجوازات، ووضع أختام الخروج عليها، جلسنا في مكان هادئ وأنهينا التعبئة وحمل كل واحد جوازه، والبعض حمل بعض الأمتعة اليدوية واتجهنا إلى (منافذ الجوازات)، وجدت منفذاً قليل الزحام فانضممت إليه وجاء بعدي الابن صالح وقُضي الأمر في دقائق، وجلسنا ننتظر أفراد الرحلة ما بين صالات المغادرة وإجراءات الجوازات، وقد تأخروا كثيرا، وذهب صالح يستطلع الأمر عدة مرات وأرجع السبب إلى رغبة البنات وأمهن في الانضمام للمنفذ الذي تعمل فيه امرأة حتى إذا طلبت منهن كشف الوجه كشفنه دون خوف أو وقوع في محظور، والإشكالية أن موظفة الجوازات تلك بطيئة الإنتاج، وبعد فترة - نظن أنها طويلة بسبب الانتظار- وصل جميع أفراد الرحلة، وواصلنا السير إلى صالات الإقلاع، ودونها وجدنا كراسي مريحة وهادئة، فجلسنا عليها، وتناولنا القليل مما يؤكل ويشرب، وقام بعض الأفراد بمحاولة اكتشاف أبعاد المكان، وما فيه من خدمات، ومرّ بعضهم على سوق المطار، وبحثوا عن مقر صالة المغادرة للخطوط السعودية والبوابة الخاصة بها، وأخرج صالح جهاز الحاسوب ليعرف هل (الشبكة العنكبوتية) تعمل، بعد ذلك كله دخلنا الصالة المخصصة للطائرة السعودية، ولم نبق فيها إلا بضعة عشر دقيقة، اتجهنا جميعا إلى بطن الطائرة، وهي من النوع الذي جئنا عليه، ولا أعلم أهي نفسها أم لا؟ اختار العاملون السعوديون في الطائرة للسعوديين الجزء الأعلى منها، وذهبنا إليه، وكان همي الأول والملح أن أحصل منها على أكبر عدد من الصحف السعودية، ولذا أكثرت التلفت والنظر إلى أماكنها المعتبرة، ولم أحصل إلا على اثنتين، ووجدت أنهما كافيتان إلى أن تتنظم الأوضاع، وأستطيع بعد ذلك أن أطلبها من المضيفات، أو آخذها من الجيران، أو يتم توزيعها، أو أذهب للبحث عنها، فالشوق لصحف الوطن مقدمة لتفعيل المحبة وتهيئة القلب للقائه، خاصة أن اثنين وعشرين يوما كافية لغرس الحنين إليه، ودافع لمعرفة المتغيرات والأحداث والأخبار، وإن كانت كل دول العالم الثالث تسير ببطء ووتيرة لا تغيرها السنوات، ولكن ماذا نعمل بالعواطف والمشاعر.

أصرت الابنة(غدير) على مواصلة الصيام رغم علمها بزيادة هذا اليوم عن غيره بسبب الطيران نحو الغرب، ورغم الإغراءات المتواصلة في كل لحظة ومن كل جهة، ورغم إباحة الفطر، بل مسنونيته، مُعللة ذلك بعدم المشقة، وقدرتها، وأجواء الطائرة الباردة، وقلة الحركة المؤدية إلى الإرهاق، وإمكانية النوم، وعدم الرغبة في الطعام، فأكبرت فيها موقفها، وخشيت من استسلامها في نهاية الأمر، وأحسست بمعاناتها، ونشأ في نفسي صراع حول استمرارها وعدمه، وأحببت أخيرا أن تنتصر المبادئ على الشهوات، والصبر على الرخاوة، والثبات على التردد والميوعة.

أقمنا في السماء، فوق الأرض ما يقارب الخمس ساعات، ووصلنا مطار الرياض في الساعة ٢،٢٠،ظهرا، وكان في استقبالنا الابن موسى، ولم تلتهم إجراءات الدخول وتختيم الجوازات وإخراج الأمتعة والاطلاع على ما فيها عن طريق الأجهزة، وبواسطة موظفي الأمن والجمارك إلا بضع وثلاثين دقيقة، بعدها وجدنا أنفسنا في سيارة يقودها موسى متجهين إلى البيت، والجميع في الطريق يدقق النظر في الشارع، ويتأمل الجو ويقارنه بأجواء سريلانكا و يسأل موسى عن أشياء كثير متتالية لا يقف على أجوبتها؛ نتيجة سرعتها وتنوعها وكثرتها، قال المتنبي :

نحن أدرى وقد سألنا بنجـ ـدٍ أقصير دربنا أم يطول

وكثير من السؤال اشتيا قٌ وكثير من رده تعليل

وصلنا البيت والمسجد القريب منا في خطواته الأخيرة من صلاة العصر، وصلينا العصر جماعة في البيت، وجلسنا نتحدث ونتذكر ونقترح وننظر، وكأننا نريد أن نختزل الأيام في ثواني، وقبل حلول لحظة الغروب، وساعة الإفطار طرق الباب ابن الجيران، يحمل عدة أطباق من الأكل الجيد والكثير، على اعتقاد منهم أننا وصلنا متأخرين، وأننا صائمون، وما أعددناه لفطورنا - إن كنا أعددنا شيئا - سيكون متواضعا، ولعل الجيران - وفقهم الله - أرادوا اهتبال هذه الفرصة، وخدمتنا جزاهم الله خيرا.

الباب الرابع
تهميشات

البرنامج الغذائي في الرحلة

البرنامج الغذائي للأسرة في سريلانكا غالبا وبشكل عام يبدأ الساعة العاشرة صباحا بتناول الوجبة الرئيسية (الفطور)؛ لأن وجبة الفطور في جميع الفنادق السريلانكية تتضمن - دائما - وجبات هي إلى الغداء والعشاء أقرب! حيث تجد أن وجبات الفطور يغلب عليها اللحم (دجاج، سمك، لحوم حمراء) إضافة إلى الأرز والمرق المتنوع!.

يليها وجبة العشاء، وغالبا ما تكون بعد صلاة المغرب، وتشتمل على ساندويتشات خفيفة (خبز توست + زيتون، جبن، بيض) مع كمية لا بأس بها من الفواكه، ومن يسهر من أفراد الرحلة يحتاج بعد منتصف الليل إلى المرور على الثلاجة أو الفرن أو الطاولة القريبة من جهاز التلفاز ليلتقط شيئا مما عليها ويضعه في فمه وهو واقف، أو متجه إلى كرسيه. وإن اختلف شيء عن هذا ذُكر في حينه.

كلمات عن الرحلة

بين أفراد الرحلة دفتر متوسط الحجم، يكتب به البعض في فترات متقطعة كلمات تعبر عن مشاهدته أو أفكاره، أو قصة أو موقف طريف تخللت الرحلة، وتزداد روعته وأهميته كلما نما عمره، وابتعد عن ساعة ولادته، نظرت في دفتر الذكريات، فوجدت أن حدوده اتسعت، وكتب فيه أفراد (أسرة البشر) شيئا من ذكرياتهم وخواطرهم، وما تم تسطيره في دفتر الرحلة يمتاز بالبساطة والتلقائية، ومحوره الألفة بين الأسرتين أكثر من كونه إطلالة على سريلانكا، ووصف لما شاهدوه، بل هو وصف بما يشعرون به، ومن أوراقه ما كتبته الابنة غدير حيث تقول:

(الأشجار، الشواطئ، الأنهار، الشلالات، الغابات، البيوت، التعامل من قبل السريلانكيين، الحافلة، كل ذلك لا تحتمله الأوراق ولا الصور ولا الكاميرات ولا المسجلات ولا الأقلام،، سريلانكا لم أكن أتخيلها هكذا أبداً من ناحية الطبيعة، وكما قال أحد السائحين إنها جنة الله في أرضه، أما من ناحية المادة فهي تحتاج إلى الكثير من الأموال؛ لكي تصلح الطرق والبيوت وغيرها، أما من ناحية الإسلام فنسبة المسلمين تتغير من مدينة إلى أخرى، ومن منطقة إلى أخرى، والمساجد والمدارس الإسلامية تحتاج إلى دعم مادي ومعنوي، رغم أني لم أرها كلها، ولكن هذا ما رأيته، والحاضر يعبر عن الغائب أحياناً) ١٤٣٠/٨/٢٤هـ غدير اليحيى ونحن في الباص من نوراليا إلى كاندي.

وكتب منصور البشر يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٠/٨/٢٨هـ في ٢٠٠٩/٨/١٩م معبراً عن انطباعاته:

(بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد .. يقولون في الأسفار عدة فوائد، ومنها صحبة الأخيار، والصحبة دائماً تكون جميلة وجيدة، خاصة مع الناس الطيبين أمثال عائلة اليحيى، ومنهم أسماء الربدي، وخيرهم أبو موسى، الذي تحمل شغب الأطفال، فجزاه الله كل خير، آمل أن تكون هذه الرحلة جميلة وممتعة، والذكر الحسن للجميع وصلى الله على نبينا محمد)

وكتبت أم مشعل، زوجة منصور البشر:

(انطباعاتي عن الرحلة أنها رحلة جميلة، وممتعة وأسماء - أم موسى - أعتبرها أكثر من أخت، فرحت بها، ومددنا الإقامة في مدينة (بنتوتا) رغبة منّا في لقائهم، وفي أثناء إقامة بعضنا مع بعض الكل متعاون، من أمهات وبنات ورجال، الأمهات يقمن بالطبخ، والبنات عليهن الترتيب وغسل الملابس، والرجال يشترون الأغراض، والأولاد يتسدحون ويتبطحون، والله يخليهم لنا، والحمد لله استانسنا وانبسطنا، والله يجمعنا وإياكم والمسلمين في مستقر رحمته)

وكتب مشعل بن منصور:

(لقد قمنا بزيارة سريلانكا مع العائلة، وبالصدفة التقينا بأبناء خالة أبي، واستمتعنا معاً، وكان أجمل ما في الرحلة

١- الشلالات.

٢- زيارة المساجد.

٣- التجول في الحدائق.

٤- الاطلاع على مصنع الشاي.

٥- ذبح الذبيحة في نورإليا.

ولا أنسى أن أشكر (رباب ومها) فقد قامتا بتصوير الرحلة، ولقد أعجبت بأبي موسى؛ فهو فاكهة الرحلة، وأحبابي وأصدقائي موسى وصالح ومحمد ومهند الذين استمتعت معهم بالرحلة، وأم موسى وأمي الغالية اللتين قدمتا لنا وجبات شهية، وإخواني الذين ساعدوني في هذه

الرحلة، وأبي الذي أسعدني، ولا أنسى أن أذكر غدير من أجل ألا تزعل، فقد كانت - ما شاء الله - صوتها يزعزع في كل مكان

.... أكره .... لا أحب فندق تي فاكتوري)

وصورت الابنة مها بعض المناظر المعنوية بقلمها قائلة:

(ثلاثة أسابيع بالتمام والكمال أعطتني من دروس الحياة ما الله به عليم، وأكاد أجزم أنها تفوقت على مقاعد الدراسة الطويلة..

سفرنا إلى دولة سريلانكا كان المغزى منه السياحة وشيء من الاطلاع على أحوال المسلمين هناك من قبل الوالد

مواقف كثيرة يعتبرها الأغلبية شيئًا يسيرًا يمر عليك مرور الكرام، لكن له من التأثير الشيء الكبير بالنسبة لي سأورد بعضها

/ بعد وصولنا بساعات ونحن في طريقنا إلى الفندق توقفنا لشراء بطاقة الاتصال، وإذا بامرأة كبيرة في السن تقوم بكنس الشارع، أنظر إليها موقنة لو اقترب طرف سبابتي لجسمها لسقطت - رحمتك يارب - لكم أن تتخيلوا شكلها: جسم نحيل، وحافية القدمين، ومكنسة من ورق الأشجار الجافة، هنا أتوقف خوفاً من إحجام حقها في الوصف.

/ كنت أتمشى بالقرب من الفندق مع أختي الكبرى رباب، وأخي الصغير وكان يحمل بعض الحلوى، فمررنا بأطفال في أحد أروقة الحي، ليمد أخي لهم بالحلوى فيأبون قبولها! عزة النفس مع الفقر والحاجة.

/ شارع ضيق كالعادة، في ارتفاع مستمر، يمشي على طرفه رجل نحيل الجسم، في يوم ممطر، يحمل على ظهره جذع شجرة كبيرة، لا أعلم هل سيذهب بها إلى قمة ذلك الجبل سيرًا على الأقدام؟!، وهل هناك فكرة غيرها؟!

/ في أحد الفنادق كان عامل تنظيف الغرف مسلمًا، وبمجرد نزولنا في ذلك الفندق في اليوم الواحد يقوم بعرض خدماته عدة مرات، فيكفيه أننا من بلاد الحرمين، وفي ليلة رمضان وجدَنا في البهو فجاء إلينا ليبارك لنا في رمضان بلغة عربية مكسرة جدا، لا تفهم منها سوى (رمزان مبارك)!.

/ في أول يوم من رمضان كنا قد وصلنا إلى العاصمة، فعلم أحد كبار العلماء هناك بوصولنا، وأرسل لنا سيارة تقلنا من الفندق إلى منزله للإفطار عنده، كم كان رائعاً استقبالهم الكبير لنا، وأن نجد زوجته قد طبخت ما لذ وطاب من الطعام بتقليل الفلفل قليلا؛ مراعاة لنا، وعمل شوربة الشوفان، التي تقوم بشرائها من محل يستورد المأكولات من الخليج وابتسامتها الواسعة ولغتها العربية الركيكة، والتي اكتسبتها منذ ثلاثين سنة مضت، عندما كانت في المملكة لمدة ٤ سنوات مع زوجها لدراسة العلوم الشرعية، والأروع دعوتها القوية لنا بالمكوث مدة إقامتنا في العاصمة لديهم في منزلهم، لولا ارتباطنا بعقد الفندق والحجز المسبق له.

/ في أحد أيام رمضان المبارك كان دخولنا لأحد الفنادق ظهرًا وكنت أقوم بعمل إجراءات الدخول، فقدموا لي كوباً من العصير، أخبرتهم أنني صائمة، عندها تذكروا أن شهر الصوم لدى المسلمين قد دخل منذ يومين، فأنفقوا وهم يعتذرون ما يقارب من عشر دقائق عن العصير الذي قدموه لي، وكيف أنهم نسوا أننا في رمضان.

/ في الساعات الأخيرة من رحلتنا وعند الجوازات شاهدت نساء يبكين بشدة وهن على أبواب رحلة عمل تمتد إلى سنتين، وأطفالهن وأزواجهن والعائلة كاملة في وداعهن، وأجزم بوجود الجيران والأصدقاء يودعونهن في موقف مؤثر جداً، الدموع تتساقط، والخوف ظاهر، أهي في قلق من فراق الأهل والأحباب وفلذات الأكباد؟ أم من مصير مجهول، في بيت خليجي يعاملها بالحسنى، أو ...؟)

أما زوجتي أم موسى فهي تظن أنها لا تجيد الكتابة، ولا التعبير عن انطباعاتها، وقد حرمها هذا الظن من مواهب عديدة، رغم معرفتها بمحاسن الرحلة وسلبياتها، ووجدت أن أفضل الطرق في استلال مشاعرها تكمن في (سنارة الأسئلة) الشفهية فكان هذا اللقاء:

س: ما رأيك في الرحلات العائلية؟

ج: إن سعادتي مرتبطة بسعادة أولادي، وأكره النساء اللاتي يسافرن وحدهن أو مع أزواجهن بعد تخلصهن من أولادهن، وأشعر أنهن يملكن خصائص سيئة كالهروب من المسؤولية، والأنانية، وضمور في الأمومة، وميزة الرحلة العائلية تعرفني على أولادي، وتقربني منهم.

س: ما رأيك في الرحلة إلى سريلانكا؟

ج: وجدتها خلاف مشاعري قبل سفري إليها، ووجدت أنها مناسبة جداً للعائلات،

نظرا لخلوها من وسائل الترفيه فإن الرحلات العائلية الجماعية تكون فيها ممتعة، ومتعة عائلتين أكبر من متعة عائلة واحدة، وسريلانكا مناسبة للعائلات المسلمة لولا بعض المظاهر الغربية في الفنادق، أما السكان فهم لا يخدشون الحياء من خلال ملابسهم وسلوكهم رغم أنهم غير مسلمين.

س: ما هي الأشياء التي لفتت انتباهك في سريلانكا؟

جـ: الأشياء التي منحها الله جَلَّ جَلَالُهُ لها ولم يتدخل فيها البشر بالتنظيم والتنسيق فجاءت كما خلقها الله، الجو المعتدل، السحب التي نراها أحياناً أمام عيوننا أو تحتها، الجبال والشلالات، الطبيعة الخضراء في كل مكان، الفواكه المتميزة والمتنوعة واللذيذة، حتى التنقل بين المدن لا يشعرك بمعنى السفر ومشقته؛ نظرًا لتواصل الغابات وتجاور المدن، ومن الأشياء الجميلة خلوها من المطاعم العالمية ومراكز الوجبات السريعة، ولذا يأكل السائح فواكه وخضارا طازجة، أو ما تنتجه يداه، خاصة أني أكره طعام المطاعم، وأجمل من كل ما سبق الأمن . الأمن.

س: هل تفضلين العودة إلى سريلانكا؟

جـ: نعم ولكن أبحث عن أسرتين أو أسرة على الأقل ترافقنا، وأرى أن رحلتي الثانية ستكون أفضل من الأولى بسبب تجربتنا السابقة، ومعلوماتنا الجديدة، وما تم التعرف عليهم وعليها في آخر رحلتنا هذه، وما فاتنا من معالم وحدائق ومدن.

انطباعات عامة

لفت نظرنا في رحلتنا العديد من الصور والأفكار، منها:

الطرق في سريلانكا - بدون استثناء - خبيصة، تتداخل السيارات الكبيرة والصغيرة والباصات والتكتكات والدراجات والناس والكلاب ويخرج الجميع سالما معافى!.

سريلانكا بلاد الخضرة والماء والأجواء المعتدلة الجميلة هذا ما رأيت ولم أذهب إلى الكثير منها، ورغم أنها لا تملك بنية سياحية إلا أنها عوضت السائح بالمناظر الرائعة، وحسن أخلاق سكانها وصدقهم وذوقهم واحترامهم للسائحين، وقلة المتسولين

في سريلانكا أسعار للمواطنين، وأخرى للسائحين! تصل في بعض الحالات إلى غير المعقول! فمثلا دخول حديقة تكلف التذكرة للمواطن السريلانكي (٣٠) روبية ويطلب من السائح (٦٠٠) روبية.

إن سعر العملة في الفنادق أو بعضها على الأقل تشتت تفكير السائح، وأحيانا تؤلمه، في فندق ما يصر على أن يكون حسابه على أفضل السعرين للروبية أو الدولار، والفرق كبير، فحينما نريد أن نصرف منهم دولارا فإن قيمته (١٠٧) روبية، أما حينما نريد أن نبيع دولارا عليهم فإن الدولار يكون سعره (١١٣) روبية، وتتكرر القضية في كل الخطوات المرتبطة بالحسابات.

في سيريلانكا ظاهرة تلفت نظر الزائر الخليجي، وهي تجاور المدن، وتواصلها، إنك كزائر لا تعلم أنك دخلت في مدينة وخرجت من أخرى، ومن الأمور الطبيعية أن يخرج الإنسان من مدينة إلى أخرى على الأقدام، بل يتساءل كيف يعرف أبناء المدن حدودها مع غيرها؟!.

في رحلتنا فقدنا أشياء كثيرة من المعلومات، ومثلها من الأماكن الجديرة بالزيارة؛ بسبب الضعف الكبير في اللغة الانجليزية، على اعتبار أنها لغة الحديث الأولى في مثل هذه الرحلات.

رغم تأخر سريلانكا في الخدمات السياحية إلا أن الحكومة تقدر السائح، والشعب يراعي توجهات دولته، ويوجد ملامح خفيفة من الفعاليات السياحية لم تتحول - حتى الآن - إلى مظهر عام يناسب إمكانيات الجزيرة الخضراء، رغم تطور الفن السياحي عالميا من زاوية الخدمات، ومقومات النجاح، والاهتمام، والتنشيط، والعروض، والبرامج، والألعاب، والأسعار، والأسواق.

من مميزات سريلانكا أنك لا تشير أو تنتظر أو تقف مدة طويلة انتظارا للتاكسي؛ إنك قبيل وقوفك على رصيف الشارع تجد أمامك عددا لا بأس به من " التكتكات" من أهم خصائصها: قدرتها الفائقة على الحركة في الطرق المزدحمة، ومهارتها في تجاوز غيرها، ومعرفة أغلب السائقين لها للغة العربية، بل قبل أن تقف يقف بمحاذاتك "تكتك" يعرض خدماته عليك.

أثناء تجولنا في الفنادق، وتمتعنا بالجلوس أو السير على شاطئ البحر هنا وهناك، وجدنا كثافة ملموسة من السائحين الأجانب، الغالب منهم غربيون، وأرى أن بلادهم أجمل من سيريلانكا، وخدماتهم السياحية هناك أعلى، وربما يكون محركهم اختلاف طبائع الناس، والطبيعة غير الملوثة بخطط الإنسان، والأسعار.

في عصر التقنية، والشبكة العنكبوتية ضاقت المسافة بين تصورات الإنسان قبل السفر وما شاهده في سفره، وانتهى السؤال القديم الأثري، الذي يقارن ما بين الظن والرؤية،

أو ما بين التصور والحقيقة، وانتهت الكثير من المفاجآت، وتقلصت متعة العين وبقيت متعة الفكر.

في السياحة المعاصرة تكون في أعلى سلم الأولويات "آلات التصوير" بأنواعها، وما تنتجه من صور يتم حفظها في الحاسوب، وأدهشني أن عدد الصور التي التقطها أفراد الأسرة في رحلتهم إلى سريلانكا تقدر بـ (٥٠٠٠) صوره.

في أغلب الإجابات عن أسئلتنا عن عدد المسلمين في هذه المدينة أو تلك تكون الإجابة بعدد الأسر، ففي هذا الحي (٤٠) أسرة مسلمة وفي هذه القرية (١٢٠) أسرة، وفي تلك المدينة (١٥٠٠) أسرة، وأرى هذا التقدير النادر يعطي معلومات أقوى وأصدق من غيره.

حدثت نفسي

وأنا أرى نفسي وأسرتي تتهافت وتتشوق للكبسة السعودية، والطعام السعودي الذي تعده أم موسى! أتساءل لماذا يقسو الإنسان على نفسه؟! لماذا يترك أربعين نوعا من الأطعمة المجانية والجاهزة أمامه من أجل طعام واحد يسعى في إعداده، ويمنحه الكثير من وقته وماله؟! أسرار الإنسان عجيبة! مكوناته وتفاعلاته لا يمكن الإحاطة بها، تأملوا حجم التضحية وهو يقول:

قد يهون العمر إلا لحظة ويهون الدهر إلا موضعا

لقد تنازلنا عن أطعمة كثيرة من أجل الكبسة، فضلناها بدون تردد، بل عضد لنا الشوق، وحركتنا المحبة، واحتضناها كاحتضان غائب الغالب على الظن أنه لا يعود.

الفصل الخامس
ملحقات

منولوج عن السياحة

هبت على شباب مدينة بريدة عام ١٣٩٥هـ وما حولها، حالة سياحية نادرة، استمرت ثلاث سنوات، عصفت بأبناء المدينة فاتجهوا إلى العمل، ونزلوا سوق «الحبحب /البطيخ» في النصف الأول من العطلة الصيفية يشترون ويبيعون، وفي الغالب يمارسون عملية تحميل السيارات الكبيرة والتنزيل من السيارات المتوسطة القادمة من المزارع، حيث إن المدينة - وإلى اليوم - المحور الأول في المملكة العربية السعودية لهذا النوع من الفاكهة.

الوجه الجميل لأبناء المدينة برز من خلال صبرهم وعرقهم، والتزامهم وتكتلهم وتنافسهم وتعاونهم وسعيهم في زيادة دخلهم، والوجه القبيح أن بعضهم يتجه مع بداية النصف الثاني من العطلة الصيفية إلى مصر أو المغرب أو إيران، فيفتتوا ما جمعوه من الأموال، وينالوا ما تيسر من الآثام، ويعودوا وقد تضخم حزنهم وانكمشت إمكانياتهم، وقد وصف الأخ الممثل عبد الله المزيني حالتهم بـ (منولوج) تم تقديمه على خشبة مسرح «نادي التعاون»، حينما كان ينفح جماهيره وكل المدينة بأنشطة اجتماعية وثقافية متميزة، ومنها هذا الوصف الذي لا يعرف مؤلفه عنه شيئا! ولا يحفظ منه سطرا، وما سيعرفه بعد اليوم سوف يرويه عني فيقول: حدثني أبو موسى عني، أني قلت!:

لي صاحبن طول أيامه ... يعمل مع خارج دوامه
ما يهتني[1] في منامه ... لمين[2] يجمع قرشين
الصبح يداوم بالمكتب ... والضحى يهرب كالثعلب
يدور[3] رزق أو مكسب ... ويحرّج بالدكاكين[4]
يومه كلّه ما يرتاح ... بالحراج أحسن نباح
بالعزبة[5] لين الصباح ... يغسّل دهن المواعين

ما عنده زوجة في بيته ... أشهب وصخ[6] لا لقيته
ريحه شين لا نتشيته[7] ... فضل عيش العزابين
عرق جبينه خسارة ... ما عنده حتى سيارة

يـاخـذ لـه ثـوب مـن جـاره ... خـذ قـصـة هـذا المـسـكين

يطلع بـرا[8] خـوش هبـال[9] ... يـصـرف لـه كـم ألـف ريـال

الله يـرحـم هـذا الحـال ... والله هـذا الشـغـل الـشـين[10]

مـن مـطـار إلـى مـطـار ... نـوب[11] وقـطـع ونـوب طـار

بين الشقة والسمسار[12] ... يـصـرف لـه ألـف وألـفـين

(لـنـدن) مـا صلحت هالمره ... والـ (كـازا)[13] لازم نمـره

(تـايـلـنـد) فـيـهـا المسـرة ... أكـد لـي حـجـزي هـالحـين[14]

(ولفرنسا) نبي[15] نـروح[16] ... نـبـي نـشـوف الـسـفـوح

مـتـى الـطـيـارة تـروح ... حـنـا قـوم سـواحـين

(الـقـاهـرة) كـد[17] زرنـاهـا ... أكـثـر مـن مـره جينـاه

نبي ديره ما شفـناها[18] ... حـتـى نـرجـع مـرتـاحـين

يـملا لـه شنطة شرطـان ... وهـدايـا أنـواع وألـوان

والحقيبة بالمـيزان ... تجـي فـوق الـثـلاثـين

مـن سـلاسـل مـن خـواتم ... يـمكـن يـاخـذ قـدر كـاتـم

طـق[19] الـزيـنـة بـرا[20] لازم ... السـايـح لازم يبـين[21]

إلى[22] أفلس جاك محيت[23] ... قـال أنـا والله ملـيت

وراي أشـغـالي والـبيت ... ويـمكـن ان اهلـي بلشـين[24]

يجي جيوبه منفوشة[25]
ضيع عفشه[27] مع قروشه
المسجل هو ويا السماعة
والشرطان راحن جماعة
والخاتم من أول يوم
ما جاب معه غير البوم[30]
المتحف ما قد فطن[31] له
مع انه ساكن في ظله
الهرم هو وأبو الهول
يحسبهن[34] أكله يحول
إن سألته عن (مكناس)
قال زرع مثل البسباس[35]
هذا حرام يروح
ما يعرف حتى يسوح
يا شباب ويا شيبان
ديرتنا فيها مكان
القصيم وأبها والطايف

و(الكوافير) زين له شوشه[26]
واجار التاكسي من وين؟[28]
راحن في درب الولاعة
ضيع له ثوب أو ثوبين
والسلاسل بأول سوم[29]
وصويرات بالتلوين
برج (ايفل) يجهل محله
بالشقة كنه[32] سجين
يقول ذا أحسن ماكول[33]
همه بطنه هالمسكين
أو حتى مدينة (فاس)
يزرع وسط البساتين
لو حتى فوق السطوح
هذا خجاله[36] يبين[37]
صرف الدراهم نكران[38]
للي يبي[39] الجو الزين
أوى[40] يالله مصايف

صيف فيها ومانتب[41] خايف من سرقة أو نشالين

في ظل اللي[42] كرّس جهده وخطط بإيمانه مع زهده

يحيا ويحيا ولي عهده خالد والفهد الأمين

دمتم على خير، وجعلكم مباركين أينما كنتم، وأسبغ عليكم نعمة الإسلام وحببها إلى نفوسكم، ومنحكم الاستقامة والعافية، وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم.

المعاني

١ - ما يتهنى ويستريح

٢ - إلى أن

٣ - يبحث له

٤ - جمع دكان وهي المحلات التجارية ويريد (بين الدكاكين)

٥ - بيت العزّاب

٦ - غير نضيف

٧ - شممته، استقصيت رائحته.

٨ - يسافر إلى الخارج.

٩ - جنون، ويعني التصرف بدون عقل.

١٠ - السيئ والقبيح.

١١ - مره، حين.

١٢ - الوسيط بين البائع والمشتري.

١٣ - مدينة في المغرب (كازابلنكا - الدار البيضاء)

١٤ - الآن.

١٥ - نريد.

١٦ - نذهب.

١٧ - فيما سبق.

١٨ - لم نشاهدها.

١٩ - إظهار.

٢٠ - الخارج.

٢١ - لابد أن يتضح.

٢٢ - إذا ما.

٢٣ - المسرع الذي لا يتلفت أو يتردد.

٢٤ - في حيرة وقلق.

٢٥ - خالية.

٢٦ - شعر الرأس الكثير.

٢٧ - احتياجات المسافر من ملابس وغيرها.

٢٨ - من أين؟

٢٩ - أول العرض وتقدير القيمة.

٣٠ - ملف الصور.

٣١ تنبه وتذكر

٣٢ - كأنه.

٣٣ - طعام.

٣٤ - يظن.

٣٥ - نبات بري.

٣٦ - صورته السيئة.

٣٧ - يظن.

٣٨ - منكر.

٣٩ - الذي يريد.

٤٠ - كلمة ثناء ومدح.

٤١ - ما أنت.

٤٢ - الذي.

المحتويات

المقدمة
الفصل الأول - السفر والسفريات
من نبض الرحلات
الإسلام والسفر
التراث العربي والسفر
محور الرحلات ودوافعها
أنواع الرحلات
الفصل الثاني - صور من الحياة في سريلانكا
لمحة عن سريلانكا
المسلمون في سريلانكا
بين السلفية والصوفية
حرب التاميل
الفصل الثالث - وصف الرحلة
مولد فكرة الزيارة
بداية الرحلة
التوجه إلى بيرولا وبانتوتا
الوصول إلى نورإيليا
مدينة كاندي
مدينة كولومبو
العودة إلى الرياض
الفصل الرابع - تهميشات
البرنامج الغذائي في الرحلة
كلمات عن الرحلة
انطباعات عامة
حدثت نفسي
الفصل الخامس - ملحقات
منولوج عن السياحة

سيرة ذاتية عن المؤلف

أولاً - البيانات الشخصية:

الاسم: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد اليحيى.
تاريخ الميلاد ١٣٧١/٧/٢٥, بريدة
العنوان: المملكة العربية السعودية - القصيم - بريدة.
الجوال: ٠٠٩٦٦٥٠٣٢٢٤٨٠٠
تويتر: @Dr_AbuMusa
البريد الإلكتروني: y1371@hotmail.com

ثانياً - السيرة العلمية:

- عام ١٣٩٩هـ حصل على الشهادة الجامعية من كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, الرياض.
- عام ١٤٠٢هـ حصل على شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة البنجاب - لاهور- باكستان.
- عام ١٤٠٤هـ حصل على شهادة الماجستير في الدراسات العربية من جامعة البنجاب -لاهور- باكستان.
- عام ١٤٠٨هـ حصل على شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من خلال بحثه (الاتجاهات الإسلامية المعاصرة في دول مجلس التعاون الخليجي) من كلية الدراسات الشرقية قسم (الدراسات الإسلامية) جامعة البنجاب - لاهور- باكستان.

ثالثاً- السيرة العملية:

- عام ١٤٠٠هـ عمل في (الملحقية الدينية السعودية) في باكستان التابع لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في ذلك الوقت، وبقي حتى نهاية عام ١٤٠٩هـ مشرف على الدعاة، ومتابعاً للاتجاهات الإسلامية في شبه القارة الهندية والمناوئة لها، وأخيراً مديراً للمكتب.
- عام ١٤٠٩هـ عمل على وظيفة داعية في مكتب الدعوة والإرشاد في الدمام.
- عام ١٤١١هـ انتقل إلى الهيئة العليا للدعوة الإسلامية، وتدرج في وظائفها حتى عام ١٤٢١ ليصبح مساعد الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- عام ١٤٣١هـ تقاعد وظيفياً.

رابعاً - الأعمال المرادفة:

- عام ١٤٠٤هـ قام بالتدريس في الدراسات العليا (قسم الدراسات العربية) في جامعة البنجاب - لاهور - باكستان إلى عام ١٤٠٦هـ.
- ما بعد عام ١٤١٨هـ عمل بإعداد الدراسات والبحوث وتلخيص التقارير والكتب في أمانة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وتولى سكرتارية لجنة الوكلاء ، ولجان فرعية أخرى.
- شارك في تحكيم عدد من رسائل الدكتوراه.
- رئيس تحرير (موسوعة العلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية)، صدرت في ثلاثة أجزاء.
- لديه مركز معلومات عن المسلمين وقضاياهم المعاصرة.

خامساً - المؤتمرات والندوات :

- عام ١٤١٣هـ شارك مع وفد المملكة العربية السعودية في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في كراتشي.
- عام ١٤١٨هـ شارك في دورة بعنوان :(دور الدين في الولايات المتحدة الأمريكية) في أمريكا.
- عام ١٤٢٠هـ شارك في مخيم الندوة الشرعية في اليابان ، والذي أقامه المركز الإسلامي في طوكيو.
- عام ١٤٢٠هـ شارك في الدورة الشرعية التي أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في (جزر القمر).
- عام ١٤٢٠هـ شارك ببحث في ندوة (مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي).
- عام ١٤٢٠هـ شارك في ندوة (حقوق الإنسان في الإسلام) والتي أقامتها رابطة العالم الإسلامي في إيطاليا.
- عام ١٤٢٤هـ شارك ببحث في ندوة (بناء المناهج .. الأسس والمنطلقات) والتي أقامتها جامعة الملك سعود - كلية التربية - الرياض.
- عام ١٤٢٤هـ شارك ببحث في ندوة (العلاقات السعودية اليابانية) والتي أقامتها مؤسسة الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية - الرياض.
- عام ١٤٢٧هـ شارك ببحث في منتدى الوسطية للفكر والثقافة في الأردن - عمان.
- عام ١٤٢٧هـ شارك ببحث في المؤتمر العالمي عن (العالم الإسلامي والغرب .. الحواجز والجسور) في ماليزيا.
- نشر عدد من المقالات في بعض الصحف، وطرح بعض المواضيع في المنتديات السعودية.

سادساً - البحوث المطبوعة عن طريق المؤتمرات والندوات :

- مصادر المعلومات العربية عن المسلمين في اليابان. (مكتبة الملك عبد العزيز)
- التعليم في إسرائيل وتربية العنف. (جامعة الملك سعود)
- خطوات اليابان نحو العالم الإسلامي. (مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية)
- الوسطية آلية إصلاح الأمة. (الأردن)
- الإسلام والنصارى في العصر النبوي ..جسور التعايش الأولى. (الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا).
- من قضايا المسلمين في اليابان. (معهد اللغة العربية - اليابان)

سابعاً- المؤلفات :

- المسلمون في اليابان.
- قانون الاضطهاد الديني الأمريكي .. قضايا وملاحظات.
- المتدينون اليهود في فلسطين .. مواقف وفرق.
- القتل والتحريض عليه في المناهج الإسرائيلية.
- الوسطية .. الطريق إلى الغد.
- شارون مرآة المجتمع الصهيوني.
- الخومينيون والأماكن المقدسة.
- نهاية الكيان الصهيوني ... رؤية من الداخل.
- ترويض العرب بالمصطلحات... الإعلام الأمريكي والصهيوني نموذجا.
- المسلمون في الصين .
- العدل في الإسلام .
- السير الأزكى إلى جزيرة إلى سريلانكا

السير الأزكى إلى جزيرة سريلانكا

وإطلالة على أحوال المسلمين فيها

إعداد
د.عبدالله بن عبدالعزيز اليحيى

لكل كتاب صبغة، وصبغات كتب الرحلات متعددة، ومتنوعة، فيها التاريخ، والترفيه، والاستقبال، والتجارة، والموقف، والدعوة، والمجتمع، والمعلومة، والصورة، والتأمل، والحوار، والوصف، والوداع.

في هذا الكتاب نَتَفٌ من كلّ ما سبق، مع جولة في أدب الرحلات، وتحريضات الشعراء.

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٤٧٠٢
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٦٤٧٩-٧